دكتور محمد عواد حسين
مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

حركات المقاومة الوطنية في مصر البطلمية

١٩٤٩

شركة فن الطباعة
صندوق بوستة ٤ شبرا مصر - تليفون ٥٨١٤٩

اهداءات ٢٠٠١

ا.د/ المرحوم زكى على

القاهرة

دكتور محمد عواد حسين
مدرس التاريخ القديم بكلية الآداب
بجامعة فؤاد الأول

حركات المقاومة الوطنية في مصر البطلمية

١٩٤٩

شركة فن الطباعة
صندوق بوستة ٤ شبرا مصر - تليفون ٥٨١٤٩

مقدمة

هذه صفحة من صفحات تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، أعددتها للنشر فى المجلة العلمية التى تصدرها كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول ، ثم حالت الظروف دون ذلك ، فرأيت أن أنشرها كما هى فى كتيب خاص .

وإنها لصفحة رائعة فى حياة الشعب المصرى المجاهد ، تكشف لنا فى وضوح عن روحه الوثابة ، ونفسه الأبية الكريمة ، وعن قوة الحيوية الكامنة فى الأمة المصرية ، وشدة استمساك بنيها بتقاليدهم وعاداتهم : نزل بهم الضيم فصبروا كارهين ، ولكنهم لم يخضعوا ولم يستكينوا ، حتى إذا سنحت لهم الفرصة هبوا ثائرين فى وجه من أرادوا إذلالهم ، وزلزلوا الأرض تحت أقدامهم . وإذا كانت الحركات القومية قد باءت بالفشل آخر الأمر ، إلا أنها آتت أكلها على كل حال ، فأرغم الطغاة المتكبرين على تغيير سياستهم تجاه ذلك الشعب الفياض بالقوة والحيوية ، وربح المصريون فى النهاية ، بينما خسر البطالمة ملكهم .

ولقد اعتمدت فى دراسة حركات المقاومة الوطنية فى العصر البطلمى على الوثائق البردية والنقوش المعاصرة ، وعلى ما كتبه المؤرخون الأقدمون ، ثم ناقشت آراء المؤرخين المحدثين فى طبيعة هذه الثورات والعوامل الدافعة إلى اشتعالها . وأرجو أن أكون قد وفقت فى هذا البحث القصير ، والله المستعان ؟

القاهرة فى ١٧ / ١١ / ١٩٤٨

محمد عواد حسين

قائمة الاختصارات

Actenstücke. = Wilcken, Actenstücke aus der Königlichen Bank Zu Theben in den Museen von Berlin, (London, Paris, 1886.)

Amh. Pap. = Grenfell and Hunt, The Amherst Papyri, London, II, 1901.

Archiv für Pap. = Archiv für Papyrusforschung.

B.C.H. = Bulletin de Correspondence Hellenique.

B G.U. = AegyptischeUrkunden aus den Königlichen(Staatlichen.) Museen Zu Berlin; (Berliner Griechische Urkunden.)

B.I.F.A.O.C. = Bulletin de L' Institut Français d' Archéologie Orientale du Caire.

C.A.H. = Cambridge Ancient History.

Chrest. = Grundzüge und Chrestomathie der Papyruskunde.

Chr.d. Egy. = Chronique d' Egypte.

C.I.G. = Corpus Inscriptionum Graecarum.

Ec. Roy. Lag = Economie Royale des Lagides.

Hist. Lag. = Histoire des Lagides.

H.N.E. = Histoire de La Nation Egyptienne.

J.E.A. = Journal of Egyptian Archeology.

Mac. Imp. = Macedonian Impirialism and Hellenisation of the East.

Mich. Pap. = Winter, Papyri in the University of Michigan, vol. III. Ann Arbor, 1936.

O. G. I. S. = Orientis Graeci Inscriptiones Selectae.

Ox. Pap. = The Oxyrhynchus Papyri.

P. S. I. = Publicazioni della Societa Italiana per la ricerca dei Papiri greci et latini in Egitto.

Rev. Bel. Phil. = Revue Belge de Philologie et d' Histoire.

Rev. Et. Anc. = Revue des Etudes Anciennes.

Rev. Et. Gr. = Revue des Etudes Grecques.

Rev. Hist. Anc. = Revue d' Histoire Ancienne.

Rev Phil. litt.Hist. = Revue de Philologie, d'Histoire et de Litterature anciennes.

S. E. H. = Social and Economic History of the Hellenistic World.

Tebt. Pap. = Tebtunis Papyri.

U. P. Z. = Urkunden der Ptolemäerzeit.

حركات

المقاومة الوطنية فى مصر البطلمية

تمهيد

ما كادت مصر تسترد استقلالها — الذى انتزعه منها النوبيون والأشوريون — على يد أبسماتيك الأول مؤسس الأسرة السادسة والعشرين الفرعونية (١)، حتى بدا فى الأفق شبح الخطر الفارسى الذى قضى على استقلال ميديا وليديا وبابل (٢)، وامتد حتى شمل سوريا وفلسطين؛ ثم دارت الدائرة على مصر عند ما غزاها قمبيز عام ٥٢٥ ق م (فى عهد أبسماتيك السادس)، وبذلك ذهبت الأسرة السادسة والعشرون، وفقدت مصر استقلالها وخضعت لعهد استعمارى شديد الوطأة، هو العهد الفارسى الذى سلب المصريين حريتهم، واستباح حرمة دياناتهم، وأثقل كاهلهم بشتى التكاليف(٣).

ولم يرضخ المصريون لما حاق بهم من عسف وظلم، فهبوا فى وجه الغزاة ثائرين، وتعددت ثوراتهم، ولكنهم لم ينجحوا فى الخلاص من ربقة النير الفارسى نهائياً، إذ كان الملوك الفرس ينتقمون من المصريين فى أعقاب كل ثورة أبشع انتقام وأشنعه، وفى أعز ما يعتز به المصرى القديم وهو دينه، ولم تنج

---

(١) كان ذلك حوالى عام ٦٥٤ ق . م . بعد أن قضى أبسماتيك — بفضل جنده المرتزقة من الاغريق والمقدونيين — على أعداء بلاده .

(Cf. J. H. Breasted, Records of Ancient Egypt, Vol. 4, nos 937 — 947; H. Brugsch, Egypt under the Pharaos, Vol. 2, p. 322.)

(٢) حدث ذلك عام ٥٥٠ بالنسبة لميديا ، وعام ٥٤٦ بالنسبة لليديا ، وعام ٥٣٩ بالنسبة لبابل .

(Cf. G. Maspero, Histoire Ancienne des Peuples de L'Orient, p. 685; A. Moret, Histoire de la Nation Egyptienne, Vol. II, p. 572.)

(٣) A. Moret, op. cit. pp. 576 — 584

مصر من الحكم الفارسى البغيض إلا على يد الإسكندر الأكبر ، ذلك الشاب المقدونى الذى أخذ على عاتقه إتمام المهمة التى حالت المنية بين والده وبين بلوغها ، وهى مهمة محاربة الفرس أعداء الإغريق الألداء ، وكسر شوكتهم ، وإبعاد خطرهم بصورة نهائية عن حوض البحر الأبيض المتوسط .

وإذا كانت مصر قد نجحت — طوال تاريخها الفرعونى — فى طرد غزاتها الأجانب ، فإنها عجزت هذه المرة عن ذلك ؛ إذ قام على أنقاض الحكم الفارسى حكم أجنبى جديد ، هو الحكم البطلمى ، الذى أعقبه الحكم الرومانى . وبعد ما رسفت مصر قرابة قرون عشرة فى أغلال هذين الحكمين ، أصبحت ولاية إسلامية ، لها دين جديد ، ولغة جديدة ، ونظام اجتماعى جديد (١) .

فتح الإسكندر مصر عام ٣٣٢ ق . م . (٢) ؛ ثم غادرها فى ربيع عام ٣٣١ ق . م . متجهاً صوب الشرق مقتفياً أثر عدوه . وفى هذه الفترة الوجيزة التى قضاها فى أرض الفراعنة ، حاول إرضاء المصريين ما وسعه الجهد (٣) .

وما لبث أن توفى فى الثالث عشر من شهر يونيو عام ٣٢٣ ق . م . فى بابل قبل أن يتم الثالثة والثلاثين من عمره ، وبعد أن وصل بفتوحاته إلى الهند .

وتنطوى بموت الإسكندر الأكبر صفحة من صفحات التاريخ المصرى القديم ، بينما تنشر صفحة جديدة طبعت بميزات خاصة جعلتها تختلف اختلافاً ظاهراً عما قبلها وما بعدها ، ونعنى بها صفحة العهد الذى اصطلح المؤرخون

---

(١) E. Bevan, A History of Egypt under the Ptolemaic Dynasty. p. 2.

(٢) W. W. Tarn, C. A. H. Vol. VI, p. 376.

(٣) من ذلك أنه حمل ألقاب الفراعنة الرسمية وتوج على الطريقة الفرعونية فى معبد بتاح وقدم القرابين والهبات للآلهة المصرية .

(Cf. The Satrap Stele of Soter in Bevan, op. cit. p.28; C. A. H. op. cit. p. 377; H. N. E. Vol. III, p. 4. Mallet, les Rapports des Grecs avec L'Egypte de la Conquête de Cambyse à celle d'Alexandre, III, pp. 167—169; U. Wilcken, Alexandre der Grosse, (trad. fran.) pp. 121 ff.)

على تسميته بالعصر الهيلينستي ، نسبة إلى الحضارة الهيلينستية التي شملت أرجاء العالم منذ ذلك الحين ، وطيلة قرون ثلاثة أخرى على وجه التقريب (١) .

وغداة موت الإسكندر ، اجتمع قواده في بابل ليقضوا في أمر هذه الامبراطورية الواسعة التي تركها صاحبها دون وريث ، فقسموها إلى ولايات وزعت بينهم يحكمونها من قبل السلطة المركزية التي تمثلت في فيليب أرهيدايوس (المعتوه) وهو أخ غير شقيق للإسكندر ، نودى به ملكا ، على أن يشاركه هذا المُلك الجنين الذى كان فى بطن روكسانا — زوجة الإسكندر — إذا جاء ذكرا (٢) .

وكانت مصر — طبقاً لاتفاقية بابل — من نصيب بطلميوس بن لاجوس ، وهكذا تحققت لذلك القائد المقدوني أمنيته التي كان يحلم بها منذ وفد إلى مصر فى صحبة الإسكندر الأكبر (٣) . والحق أن بطلميوس كان موفقاً فى اختياره إذ تمكن فى ذلك المكان النائى عن قلب الامبراطورية من أن يضع أساس دولة قوية غنية حمل أحفاده صولجانها من بعده مدة ثلاثة قرون من الزمان على وجه التقريب ، بدأت بوفاة الإسكندر وانتهت عام ٣٠ ق . م . عقب معركة اكتيوم البحرية بقليل (٤) .

* * *

(١) W.W. Tarn, Hellenistic Civilization, p. I.

(٢) B. - Leclercq, Hist. Lag.Vol I, P. 9; p. Jouguet, Mac. Imp. p. 120.

والواقع أن الأحداث التي أعقبت وفاة الاسكندر غير واضحة تمام الوضوح لقلة المراجع التي تتعلق بهذه الفترة وتناثرها ، على أننا لحسن الحظ نعرف الشيء الكثير عما وقع بين عامي ٣٢٣ ، ٣٠١ ق . م . ولعل أهم ما لدينا هو ما كتبه ديودورس فى الكتب ١٨ — ٢٠ من تاريخه العام عن العالم القديم ، وماسطره أريانوس فى (كتاب العهد الروماني) ولو أنه لا يتناول تاريخ خلفاء الاسكندر الا الى عام ٣٢١ ق . م . وكذلك ما جاء في بلوتارخوس عن حياة كل من ايومينيس وديمتريوس وبيروس ، وما جاء في باوزانياس عن بطلميوس وليزيماخوس وسليوكوس ، ذلك عدا ما جاء فى الوثائق البردية والنقوش .

(٣) Ox. Pap. Vol. I, 12, col. 5.

(٤) M. Rostovtzeff. C.A.H. Vol. VII, p. 110.

لمحة عن سياسة البطالمة الداخلية

هكذا بدأ حكم البطالمة فى مصر ، أقام فيها بطلميوس بن لاجوس واليا أول الأمر ، ثم استقل بها واتخذ لنفسه لقب «ملك»[١]، ورسم لنفسه سياسة داخلية وخارجية خاصة ، استلهم وحيها من المصلحة الخاصة . وإذا كنا نريد أن ندرس هنا حركات المقاومة الوطنية على عهد البطالمة . فينبغى أن نبدأ أولا بكلمة عن سياسة البطالمة الداخلية ؛ لنلمس فيها دوافع هذه الحركات الثورية وأسبابها .

عند ما فتح المقدونيون مصر كان لها تاريخ مجيد باهر يمتد إلى عدة آلاف من السنين ؛ وكانت لها حضارة زاهرة وتقاليد عريقة تستند إليها شتى نواحى حياتها الدينية والسياسية والإدارية والقضائية والاجتماعية والاقتصادية. ولم تعش مصر فى عزلة عن العالم المحيط بها ، وإنما استطاعت فى العصر الصاوى ، وفى فترتى السيادة الفارسية ، وبوجه خاص خلال الستين عاما التى فصلت بين هاتين الفترتين ، أن تساير النظم السياسية والاقتصادية الجديدة التى سادت العالم القديم حينذاك ، كما اتصلت بالعالم الاغريقى اتصالا وثيقا [٢] . وأدرك البطالمة كل ذلك . فأحسوا بخطر القيام بأية محاولة لإغفال التقاليد المصرية التى امتزجت بنفوس أصحابها امتزاجا شديداً ، فآثروا السلامة ، وتركوا المصرى تقاليده وعقائده القديمة ، بل إنهم أظهروا من ناحيتهم احتراما كاملا لهذه العقائد وتلك التقاليد ، وذهبوا فى هذا السبيل إلى حد اعتناق التقاليد المصرية ، فنصبوا أنفسهم فراعنة ، وحملوا الألقاب الفرعونية ، وشيدوا المعابد للآلهة المصرية وأجزلوا لها العطاء .

وثمة مشكلة أخرى واجهت البطالمة ، وهى سوء الحال الاقتصادية وضرورة

---

(١) كان ذلك عام ٣٠٥ ق.م. عقب انتصاره على انتيجونوس وابنه ديمتريوس. وقد حذا كل من كاسندروس وليزيماخوس وسليوكوس حذو بطلميوس ، فأعلن كل منهم نفسه ملكا فى ولايته ، ولهذا يسمى عام ٣٠٥ ق . م . بعام الملوك .

(Cf. C.A.H. Vol. VI, p. 499; E.Bevan, op. cit. pp. 27 — 28; B.- Leclercq, op. cit. Vol. I,pp. 71 — 75.)

(٢) M. Rostovtzeff, S. E. H, Vol. I, p.261.

إنعاشها للنهوض بالأعباء الجديدة . فقد ساد مصر اضطراب شديد خلال القرن الرابع قبل الميلاد نتيجة للثورات التي قام بها المصريون للتخلص من النير الفارسي ، وأفضى ذلك إلى فساد الإدارة وإهمال الشئون الاقتصادية إهمالا شديداً أدى إلى نضوب المال . لهذا كان لزاماً على البطالمة أن يعيدوا تنظيم الشئون الاقتصادية والإدارية تنظيما يكفل لهم استغلال موارد البلاد إلى أقصى حد مستطاع ويضمن لهم القبض على ناصية الشعب .

وهكذا نرى أن البطالمة كانوا يهدفون في الداخل إلى هدفين : أولهما الحصول على المال ، وثانيهما إحلال الهدوء والاستقرار . أما المال فلبناء أسطول ضخم وتجنيد جيش عظيم للفوز باستقلال مصر ثم الاحتفاظ بهذا الاستقلال وتدعيمه وللقيام بالدور الأول في سياسة البحر الأبيض المتوسط الدولية (١) . وأما الهدوء والاستقرار فقد كانا لازمين لتوفير المال والتفرغ للدفاع عن كيان مصر .

ولما كان بطلميوس ينتمي إلى الجنس الفاتح الذي أخضع معظم العالم المعروف حينذاك ، فقد رأى أن يعتمد على أبناء هذا الجنس — من اغريق ومقدونيين — في تكوين قواته العسكرية ، وهم الذين كانت قوات منافسيه تتألف منهم ، وكانت نواة هذه القوات عبارة عن الحامية التي تركها الإسكندر في كل ولاية (٢) .

والواقع أن انهيار نظام المدينة الحرة الإغريقية « Πόλις » وما عانته بلاد الإغريق من الاضطرابات العنيفة آنذاك . كان مشجعاً للإغريق على النزوح إلى أي مكان ، والقيام بأي عمل يعهد به إليهم . ولما كانت مصر في حاجة إلى

---

(١) هذه كانت أهداف السياسة الخارجية للبطالمة كما يتضح من دراسة الحقائق التاريخية ، وهو الرأى الذى يعتنقه المؤرخ « روستفتزف » كما بسطه في (J.E.A. Vol. VIII, p. 172). أما رأي «فلكن» الذي ينطوى على أن البطالمة كانوا يهدفون الي تكوين امبراطورية تعتبر مصر وسيلة لبنائها ، فرأي يجافى الحقيقة ، (Cf. Grundzüge und Chrestomathie des Papyruskunde, I, p. 4) وكذلك أيضاً رأى « كورنمان » (Cf. Klio, 1916, P. 229) الذى يري أن البطالمة كانوا كالاسكندر سواء بسواء يسعون الي تشييد امبراطورية عالمية .
(Cf. P. Jouguet, L'Imp. Mac. pp. 281 — 282.)

(٢) J. Lesquier, les Institutions Militaires de L'Egypte sous les Lagides, p. 1.

مثل هؤلاء المغامرين، سواء للخدمة فى الجيش والأسطول (١)؛ أو لاستثمار أموال أصحاب رءوس الأموال منهم، والاستعانة بها فى إنعاش حالة البلاد الاقتصادية التى كانت على وشك الانهيار (٢)؛ فقد فتح لهم البطالمة أبواب وادى النيل على مصاريعها، ومن ثم وفدوا إليه فى أفواج متتالية، وظلت موجات هجرتهم مستمرة حتى منتصف القرن الثالث ق. م. (٣). وينبغى ألا يفوتنا أن السر فى هذا الإقبال العظيم من الإغريق والمقدونيين على النزوح إلى مصر، لم يكن مجرد السماح لهم بدخول البلاد، وإنما كان ذلك المركز الممتاز الذى اختصهم به البطالمة، وتلك الامتيازات السخية والهبات الكريمة التى أغدقوها عليهم.

على هذا النحو أوجد البطالمة الأداة اللازمة لبناء قواتهم الحربية وإنعاش الأحوال الاقتصادية، ولكن الأساليب التى اتبعوها فى حكم البلاد والاحتفاظ بقواتهم العسكرية واستثمار المرافق الاقتصادية أرهقت المصريين إرهاقاً شديداً فنقموا على البطالمة وتألبوا عليهم؛ ذلك أن البطالمة استندوا فى حكمهم إلى حق الفتح، ومن ثم اعتبروا البلاد ملكا خاصا لهم، يديرونها ويتصرفون فى شئونها كما يتصرف أى فرد فى شئون أى ضيعة يمتلكها (٤). ولهذا سنوا من النظم ما يكفل ضمان استدرار خيرات هذه الضيعة، ويؤكد حسن الإدارة فيها وكامل السيطرة على صناعها وفلاحيها كى يدفعوا الضرائب بانتظام.

وإذا كان البطالمة قد تجنبوا إحداث أى انقلاب ظاهرى فى نظم الإدارة الداخلية للبلاد، إلا أنهم أدخلوا تغييراً حقيقياً فى نظام الحكم أشعر المصريين بأنهم محتلون بقوة عسكرية، فأقاموا إلى جانب الحاكم المدنى لكل إقليم حاكما آخر له صفة عسكرية هو القائد « στρατηγὸς »؛ وكان هذا إغريقياً يتمتع بالمكانة العليا فى الاقليم، وله الكلمة الأولى فى مختلف الشئون المدنية

(١) M. Rostovtzeff, C.A.H. Vol. VII, p. 110

(٢) P. Jouguet, les Lagides et les Indigènes Egyptiens (Rev. Bel. phil. Hist. 1923 T. II p. 429)

(٣) W.W. Tarn, Hellenistic Civilization, p. 155.

(٤) C. A. H. Vol. VII, p. 113; E. Bevan, op. cit, p. 133.

والعسكرية على السواء (١) . ونحن نجد فى ذلك النظام ما يحملنا على مخالفة الرأى القائل بأن البطالمة قد اتبعوا فى مصر سياسة التوسع السلمى ، ولم يعملوا على إشعار المصريين بأنهم محتلون بقوة عسكرية . ولهذا اتخذ بطليوس الأول من الفيوم — النائية عن السكان — مقراً لقواته العسكرية الإغريقية (٢) . إننا لا نستطيع أن نفهم أن مجرد وجود الجند بالفيوم معناه التوغل السلمى ، مع أن الحاكم فى كل إقليم كان رجلا عسكريا ! وليس هناك ما يشعر بالاحتلال العسكرى أكثر من تسليم زمام الإدارة لقادة عسكريين .

ولقد اتبع البطالمة — لاستغلال مرافق البلاد الاقتصادية — سبلا تنطوى على بالغ العسف والارهاق بالنسبة للمصريين : ففرضوا عليهم ضرائب باهظة وتكاليف شتى ، وسلبوهم حريتهم الاقتصادية ، وعاملوهم معاملة شعب مهزوم ، فبسطوا رقابتهم على كل شىء حتى باتت المعابد نفسها خاضعة لهذه الرقابة الثقيلة (٣) . والحق أن المصريين كانوا فريسة لعدة مظالم فاحشة : قضى البطالمة على استقراطيتهم ، واستولى الاغريق على موارد بلادهم بشكل لم يسبق له نظير ، بل إنهم مدوا أيديهم إلى داخل بيوتهم فشاركوهم سكناها . إذ كان مفروضاً على الأهالى إيواء الجند فى مساكنهم — وذلك فى المدن والقرى القديمة حيث يندر وجود أرض فضاء للبناء — الأمر الذى كان سبباً فى شكايات عديدة نسمع عنها منذ القرن الثالث قبل الميلاد (٤) . ولعلنا لا نكون مبالغين إذا

---

(١) P. Jouquet, B. I. F. A. O. C. Vol. xxx, p. 17.

(٢) J. G. Milne, J. E. A. Vol. XIV, p. 227.

(٣) H.I. Bell, J.E.A. Vol. VIII, 1922, p. 143.

(٤) M. Rostovtzeff, S E H. Vol. I, pp. 285 — 286.

وقد جاء فى بعض الوثائق الاغريقية ما يدل على أن الاغريق قد شاركوا المصريين هذا العبء الثقيل (Cf. Enteuxeis Pap. N° 12) . وقد أصدر فيلادلفوس فى السنة الحادية عشرة من حكمه (٢٧٥ — ٢٧٤ ق . م .) قراراً يقضي بتقسيم المسكن مناصفة بين مالكه الأصلى والجندي المقطع (Cf. Petrie Pap. III, 20 verso, col. III, ll. 1 — 8) . ولكن هذا القرار لم يحسم المشاكل ، فحاول ايوارجتيس الثاني أن يضع لها حداً فى صورة ترضى المصريين ، ولهذا ضمن قرار عفوه الصادر فى عام ١١٨ ق . م . فقرة تقضى باعفاء بعض الطوائف الوطنية من هذا العبء اذا كان الفرد لا يمتلك أكثر من منزل واحد ، والا فيجوز للجندى الذي لا سكن له أن يحتل ما لا يزيد عن النصف فى المنازل الزائدة .
(Cf. Tebt. Pap. 5, ll. 168 — 177.)

قلنا إن حال المصريين على عهد البطالمة كان مصداقاً للقول المأثور « ويل المغلوب » .

ولم يكن وضع المصريين فى الجيش وضعاً يحسدون عليه : لقد كانوا يؤلفون منذ البداية جزءاً من قوات البطالمة البرية والبحرية (١) ؛ ولكنهم كانوا لا يقومون إلا بأعمال النقل والتموين ، وإن سلح بعضهم بالأسلحة القديمة استعداداً للضرورة القصوى (٢) . وكانوا لا يمنحون إلا إقطاعات صغيرة المساحة بالنسبة لاقطاعات الجند الاغريق . وظل حالهم كذلك حتى معركة رفح عام ٢١٧ ق . م . عندما اضطر بطلميوس الرابع إلى تسليحهم بالأسلحة المقدونية وتجنيد القادرين منهم على حمل السلاح ، وإدماجهم فى قلب الجيش للقيام بعملية الهجوم الرئيسية (٣) .

* * *

المصريون والأجانب

يتضح لنا إذاً أن البطالمة وإن كانوا قد نجحوا فى إنعاش الحالة الاقتصادية وتكوين الجيش والأسطول ، إلا أنهم خلقوا لأنفسهم مشكلة جسيمة فادحة هى مشكلة تهيئة الأسباب التى تمكن المهاجرين الأجانب وأهل البلاد الأصليين من أن يعيشوا جنباً إلى جنب ويتعاونوا سويا لما فيه خير البلاد ؛ ولكن نفس العوامل التى أفضت إلى هذه المشكلة كانت تجعل حلها مستحيلا : ذلك أن الحاجة التى استشعرها البطالمة إلى استقدام الأجانب واستبقائهم فى مصر قضت بمنحهم مركزاً ممتازاً فى البلاد ، ولما كان هؤلاء الأجانب ينعمون بامتيازات وفيرة ويعتزون

---

(١) نعرف ذلك مما جاء في ديودوروس الصقلى عن معركة غزا (Diod. XIX, 80,4) وما جاء في بوزانياس عن حرب خريمونيديس (Paus. III, 6,5) وما جاء فى برديات القرن الثالث قبل الميلاد التي تحدثنا عن المحاربين المصريين فى جيش البطالمة (Cf. J. Lesquier, op. cit. pp. 5 — 6,172 ff.)

(٢) Diod. loc. cit.

(٣) هذا ما استنتجه ليسكييه في كتابه سالف الذكر ص ٠ ٧ — ٨ ، ٢٨ — ٢٩ وذلك مما جاء فى بوليبيوس (Polyb. V, 107, 1 — 3) ، ويخالفه فى هذا الرأى بعض المؤرخين .

بحضارتهم ، ويستمسكون بعاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم ، فقد انطوت نفوس المصريين على حقد دفين نحوهم وتعذر بطبيعة الحال التوفيق بين الفريقين .

وهكذا انقسم سكان البلاد منذ بداية عصر البطالمة قسمين : أجانب ينعمون بالامتيازات العظيمة والمراكز الممتازة فى شتى إدارات الحكومة ، ويتمتعون بالاقطاعيات العسكرية الواسعة والضياع الفسيحة ، ووطنيون سلبوا خيرات بلادهم وانحدروا إلى الدرك الأسفل . ونحن لانستطيع أن نوافق « روستفتزف » فيما يذهب إليه من أن بطلميوس الأول لم يفرق بين الإغريق والمقدونيين كطرف ، والمصريين كطرف آخر(١) . إذ الواقع أن هذه التفرقة قد وجدت فعلا كما يقول « وسترمان(٢) » ؛ بل إن « روستفتزف » نفسه ليعترف بها إذ يقول فى مكان آخر من كتابه : « إن الحاجة إلى الأجانب لم يكن معناها مجرد السماح لهم بدخول البلاد ، وإنما الترحيب الشديد بهم ووعدهم بالمراكز الرفيعة الممتازة »(٣) . بل إنه يقرر هذه التفرقة بصراحة حيث يقول : « إن الآلاف المؤلفة من الأجانب الذين وفدوا إلى مصر فى القرن الثالث قبل الميلاد كونوا فئة ممتازة تماماً عن المصريين (٤) » ، ولا يمكن أن يقلل من هذه التفرقة أو يذهب إلى حد إنكارها كلية أن بطلميوس الأول كان مضطراً أشد الإضطرار إلى منح الامتيازات لبنى جلدته ، لأن ذلك كان السبيل الوحيد لضمان استقرارهم وتفانيهم فى خدمته . وإذا كان « روستفتزف » يرى أن الإغريق كانوا كالمصريين من الناحية الرسمية ، إذ اعتبروا رعية الملك ، يدفعون الضرائب المقررة ، ويخضعون لنظم الاحتكار ، والالتزامات المالية المختلفة ، وينتظر منهم القيام بأى عمل تطلبه السلطات المحلية(٥) ، فإن

---

(١) M. Rostovtzeff, op. cit. P. 263.

(٢) Westermann, The Ptolemies and the Welfare of their Subjects, (Actes du 5ème congrès inter. de Pap. 1938, pp. 565 — 567.

(٣) M. Rostovtzeff, op. cit. p. 264

(٤) Ibid. p. 323.

(٥) Ibid. loc. cit.

الإغريق مع ذلك كانوا يتمتعون بعدد من الامتيازات التى منحهم إياها الملك وميزت بينهم وبين المصريين تمييزاً دقيقاً (١) .

وكان طبيعياً — والحال كما وصفنا — أن يستعلى الاغريق والمقدونيين على المصريين الوطنيين ، فينظرون إليهم نظرة احتقار وازدراء ، ويعتبرونهم خدامهم المطالبين بالعمل من أجل ساداتهم .

وليس من العسير أن نتصور بعد ذلك شقاء المصريين : لم يكونوا خاضعين لملوك غرباء فحسب ، بل كذلك لجنس غريب بأسره ، تغلغل فى جميع نواحى الحياة ، ولم تنج طبقة واحدة من طبقات المصريين من استبداد البطالمة ، واستغلال الاغريق(٢) . وظل المصريون يرزحون تحت عبء متاعبهم الثقيلة ، وقلوبهم تنبض بفخارها الوطنى ، وصدورهم تأكلها نيران المظالم الفاحشة ، ولم يمنعهم احساسهم بضعفهم وقوة حكامهم من التعبير عن شعورهم ، فثاروا ثورتهم الأولى على عهد بطلميوس إيوارجتيس الأول . ثم كان انتصارهم فى معركة رفح عام ٢١٧ ق . م . ذلك النصر الذى أعاد إليهم الثقة بنفوسهم ، فانفجروا كالبركان الثائر ، وهبوا من سباتهم فى وجه الدخيل الغاصب . وأخذوا ينظمون ثوراتهم بزعامة رجالهم الوطنيين ، حتى اضطر الملوك البطالمة إلى تغيير سياستهم الداخلية تغييراً جوهرياً ليرضوا ذلك الشعب الذى دبت فيه روح جديدة ، وبعث النصر فى قلبه موات الأمل .

* * *

نذر المقاومة

الواقع أن غضب المصريين قد بدأ يظهر منذ عهد فيلادلفوس (٣) . وتحدثنا وثائق زينو البردية عن القلاقل

---

(١) ابراهيم نصحى ، تاريخ مصر فى عهد البطالمة ، ج ٢ ، ص ، ٧٣١ .

(٢) ابراهيم نصحي ، نفس الكتاب ، ص ، ٧٦٦ .

(٣) يلقى Peremans تبعة الثورات المصرية كلها علي فيلادلفوس ، لأن والده سوتر لم يستطع بحكم الظروف أن ينفذ الخطط التعسفية التى أكسبت مصر طابعها على عصر البطالمة ، ولأن ابنه ايوارجتيس الأول لم يفعل أكثر من اتباع سياسة أبيه (Cf. Ch. d'Egypte, XI, 1936, pp. 159 ff.) ، ولكننا نري فى ذلك —

الكبيرة التى كانت تحدث بين المزارعين(١) ، وما من شك فى أنها كانت تعبيراً عن ضيقهم بالمظالم التى تعرضوا لها ، ومامن شك أيضاً فى أن مثل هذه القلاقل كانت تحدث بين الصناع والتجار لنفس السبب . وكانت هذه الحالة مدعاة لإزعاج الحكومة ، فبثت عيونها فى كل مكان ، وفرضت على العابثين بالأمن أشد أنواع العقوبات وأقساها (٢) . ولم يكن تبرم المصريين واستياؤهم راجعاً إلى عسف النظام الاقتصادى الذى وضعه فيلادلفوس فحسب ، وإنما إلى عدة عوامل أخرى . ذلك أن تطبيق هذا النظام وضع فى أيدى الأجانب من الاغريق والمقدونيين ، هؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم أرفع شأناً وأعظم قدراً من المصريين الوطنيين ، والذين عاشوا فى وادى النيل يتكلمون لغتهم الاغريقية ويتعبدون لآلهتهم الاغريقية ، ويفرضون على الوطنيين بذل أقصى جهودهم لاستغلال المرافق الاقتصادية . وإذاً فلم يكن المصريون يعملون من أجل آلهتهم الوطنية وملوكهم الوطنيين ، وإنما من أجل فاتح أجنبي يحيط به الأجانب الذين تمتعوا بالثراء وتركوا أهل البلاد يعانون الفاقة والبؤس : إذا رغب أحدهم فى اقتراض شيء من المال أو الغلال ، فإنما يقترضه من أحد هؤلاء الأجانب ، وإذا أراد أن يستأجر قطعة من الأرض ، فهى عادة من أراضى الأجانب . . .

--- الرأى اسرافاً فى ظلم فيلادلفوس ، فهو حقاً يتحمل جانباً كبيراً من تبعة الثورات المصرية اذ تدل وثائق عهده على أنه قد عطف عطفاً سابغاً على الاغريق بينما أقصى المصريين عن المراكز الرفيعة ، وضيق الخناق على رجال الدين ، وأرهق المصريين بنظامه الاقتصادي الصارم ، ولكن ليس من سبيل الى اعفاء والده واخلافه من تبعة الثورات ، أما الوالد فهو الذى وضع أثاث معاملة المصريين معاملة المقهورين ، ومعاملة الاغريق معاملة السادة ، وأما الأخلاف فلم يحاولوا تغيير هذه السياسة فى جوهرها وان بذلوا ، منذ عهد فيلوباتور وبعد معركة رفح ، أقصى الجهود فى سبيل كسب ود المصريين ورضاهم (راجع ابراهيم نصحى --- الكتاب السابق ، ج ٢ ، ص ٧٦٧) .

(١) Cf. Peremans, Rev. Belge de Phil. Hist., XII, 1933, pp. 1005 — 1022.
حيث نجد مجموعة من الوثائق التي تحدثنا عن فرار المزارعين من عملهم والتجائهم الى المعابد يحتمون فى داخلها .

(٢) M. Rostovtzeff, op. cit. pp. 411 — 412.

وهكذا . لقد كان كل ذلك كافياً لكي يدرك المصريون أن بلدهم لم تعد لهم ، وأن عليهم أن يصبحوا أداة طيِّعة فى أيدى الأجانب أو يقاومونهم ماوسعهم الجهد .

لقد توفر على هذا النحو جيش الثورة من هؤلاء الزراع والصناع والعمال الحانقين ، وكان الكهنة ــ وهم الذين حرمهم البطالمة مكانتهم الممتازة الرفيعة ــ متبرمين ساخطين ، مستعدين لقيادة الثوار وتزعمهم[١]. وأخذت الحال تزداد سوءاً على الأيام ، فإذا بالأسباب التى نجم عنها الاضطراب تبدو فى صورة أكثر وضوحاً ، وإذا بالقلاقل وحركات المقاومة تنمو وتشتد على عهد خلفاء فيلادلفوس .

* * *

الثورة الأولى

إن أول حركة ثورية شهدتها مصر البطلمية لهى تلك التى يحدثنا عنها كل من چوستينوس[٢]، وهيرونيموس المعروف باسم سان چيروم[٣] ، وقد حدثت هذه الثورة على عهد بطلميوس الثالث (إيوارجتيس الأول) . وإذا كان پوليبيوس[٤] يتجاهل هذه الثورة تجاهلا تاما ، ويعتبر تلك التى اشتعلت على عهد بطلميوس الرابع (فيلوپاتور) أولى الثورات المصرية ، فإن ذلك لا يمكن أن ينفى وقوعها أو يقلل من أهميتها . ولقد شبت هذه الثورة فى مصر عند ما كان إيوارجتيس الأول غائباً عنها فى حروبه السورية[٥] . ويحدثنا چوستينوس[٦] بأن ملك مصر كان على وشك

---

(١) ابراهيم نصحي ، الكتاب السابق ، ج ٢ ، ص ٧٦٨ .

(٢) Justin, XVII, 1,9.

(٣) Hieron., in Dan. XI; Cf. E. Bevan, op. cit. p. 194.

(٤) Polyb. V, 107.

(٥) تلك هي الحرب السورية الثالثة التى يقال أن ايوارجتيس الأول أخضع فيه كل آسيا حتى باكتريانا ، وذلك بناء على نقش وجد علي عرش من المرمر عثر عليه فى أدوليس بالحبشة ، ونقل صورته سائح كان يعيش في القرن السادس للميلاد ويدعي كوسماس انديكوبلستس (Cosmas Indicopleustes) راجع (C. I. G.5.127; Strack, op. cit. No. 39)

(٦) Justin, loc. cit.

أن يحتل كل مملكة السلوكيين ، لولا أن استدعته هذه الثورة ، فاضطر للعودة إلى بلاده .

فما هى أسباب هذه الثورة ؟ هل جاءت نتيجة لحركة دبرها الإغريق من رجال القصر وقواد الجيش ؟ أم كانت تعبيراً عن روح الاستياء التى تملكت المصريين لكرامتهم التى أهدرت وقوميتهم التى ديست ، وكان الدافع إليها هو نفس العوامل التى أثارت القلاقل وأدت إلى التوقف عن العمل بين الزراع والصناع والعمال المصريين على عهد فيلادلفوس ؟ الواقع أننا نستبعد الفرض الأول لأننا لانجد قرينة واحدة تؤيده ، فلم يكن الإغريق قد تعرضوا بعد لضروب الضغط التى تعرضوا لها على عهد البطالمة المتأخرين عند ماقبض هؤلاء أيديهم بعض القبض فى معاملة الإغريق والمقدونيين . أما الفرض الثانى فيبرره أن المجهودات العظيمة التى تطلبتها حروب إيوارجتيس الأول فى سوريا ، كانت مدعاة لازدياد عسف الحكومة وضغطها على الوطنيين : فنحن نسمع عن إكراه المصريين على الخدمة البحرية « البغيضة » ، وعن ازدياد مظاهر القسوة فى إجراءات الحكومة البطلمية ، وعن الإيجارات المجحفة الباهظة التى فرضت على الفلاحين الملكيين حتى لقد اضطر بعض هؤلاء إلى الهجرة من مواطن إقامتهم مما أدى إلى إقفار القرى من ساكنيها .

تلك إذاً ثورة وطنية شعبية ، أدت إلى اشتعالها تلك العوامل السالفة ، وساعد على نشوبها غياب الملك وقواته العسكرية فى الأراضى السورية . وتحدثنا وثيقة كانوب(١) التى ترجع إلى السنة التاسعة من حكم إيوارجتيس الأول عن عامل لعله كان من العوامل التى أدت إلى اشتعال الثورة ، فقد انخفض منسوب الفيضان ، وحل القحط بالبلاد ، وأشرف الناس على الهلاك ، فحنقوا على الملك الذى كان يشتط فى القسوة عليهم ، ويجمع أموالهم لينفقها فى حروب لا طائل تحتها(٢) . هذا إلى ما جاء فى إحدى برديات پترى (٣) من توزيع

(١) O. G. I. S. 56, 1. 14.

(٢) Mahaffy's History, p. 110.

(٣) Petrie Pap. II. 29 e, p. 101.

إقطاعات كبيرة بين أسرى الحرب الأسيويين مما أثار سخط المزارعين المصريين .

ولقد تعيننا وثيقة بردية ترجع إلى النصف الثانى من القرن الثالث[١] على تفهم طبيعة هذه الثورة ، فهى تحدثنا عن مساوىء رجال الإدارة ، كما تحدثنا عن تبرم المصريين وعزوفهم عن العمل ؛ الأمر الذى يحمل على الظن بأن الثورة كانت ذات طابع قومى ، دفعت إليها عوامل اقتصادية واجتماعية .

على أن هذه الثورة لم تتمخض عن نتائج خطيرة ، ويبدو أن إيوارجتيس قد استطاع إخمادها بمجرد عودته إلى مصر ، وأنها لم تمتد إلى أبعد من أنحاء الدلتا[٢] . ولعل ذلك هو السبب فى إغفال بوليبيوس لها .

بطلميوس الرابع والحرب السورية الرابعة

وانتهى عهد إيوارجتيس الأول بعد أن ساد السلام فى أواخره ، وتربع على العرش ابنه الصغير بطلميوس الرابع (فيلوباتور) . ونحن ندين بكل معلوماتنا عن عصر هذا الملك وسياسته الخارجية والحياة فى بلاطه ، إلى المراجع الأدبية ، وهى للأسف قليلة تافهة القيمة فى أغلب الأحيان . وقد اضطر هذا الملك فى بداية عهده إلى خوض غمار المشكلة السورية ، فاشتبك مع الملك أنتيوخوس الثالث فى الحرب السورية الرابعة . وقد اضطر فيلوباتور هو ووزيره سوسيبيوس ، إلى إدخال بعض التعديلات على النظم المالية والإدارية لمواجهة نفقات هذه الحرب . وجاءت التعديلات ضغثاً على إبالة ، فزيدت بعض الضرائب ، وفرضت ضرائب جديدة أخرى ، وارتفعت إيجارات بعض الأراضى . ويبدو أن نقص موارد الحكومة نتيجة لسوء الحالة الاقتصادية منذ أواخر القرن الثالث قبل الميلاد ، قد دفعها إلى التشدد فى جميع الإيجارات وجباية الضرائب ، وإلى الإكثار من الأعباء والالتزامات غير

---

(١) Tebt. Pap. 703 ، وتعتبر هذه الوثيقة أغنى مصدر بالمعلومات عن الظروف التى سادت مصر فى النصف الثانى من القرن الثالث قبل الميلاد ، ونحن لا نعرف تاريخها على وجه الدقة ، وهى اما من أواخر عهد ايوارجتيس الأول ، واما من أوائل عهد فيلوباتور .

(٢) C. A. H. Vol VII. p. 717.

العادية ، الأمر الذى تمخض عن مصادرة كثير من الأملاك[١] .

ولاحت بوادر الهزيمة التى تنتظر قوات بطلميوس الرابع عند ما تمكن أنتيوخوس من الاستيلاء على سليوكيا على نهر العاصى عام ٢١٩ ق.م. وعند ما خان ثيودوتوس مولاه البطلمى فانضم إلى عدوه السلوكى ، وسلمه صور وعكا وأربعين سفينة حربية . ولم تكن قوات بطلميوس الرابع فى مصر ذات قيمة ، فطلب وزيره سوسيبيوس الهدنة ، ومن ثم حدث تطور خطير فى نظام الجيش البطلمى : ذلك أن المصريين أدمجوا فى صلب الجيش ، وسلحوا بالأسلحة المقدونية ، وعند مادارت رحى القتال من جديد ، انتزعت القوات المصرية من أنتيوخوس نصراً مؤزرا فى رفح عام ٢١٧ ق م. ولسنا هنا بصدد مناقشة طبيعة هذا التطور الذى يصفه پوليبيوس بأنه كان بدعة ذات نتائج خطيرة[٢] فقد ناقشناها وأدلينا برأينا فيها فى مكان آخر[٣] . إنما تعنينا فى بحثنا هذا ، النتائج الخطيرة التى ترتبت على هذه البدعة .

الثورة الثانية

يحدثنا پوليبيوس بأن نصر المصريين فى رفح قد ملأهم زهواً وفخارا ، فأصبحوا لا يطيقون الخضوع لسادتهم ، وبدأوا يبحثون عن زعيم يقودهم فى ثورتهم ، وسرعان ماعثروا على ضالتهم[٤]. غير أن پوليبيوس يهون من شأن هذه الثورة إذ يقول : « عند ما اضطر فيلوپاتور إلى ترك حياة اللهو لمحاربة المصريين ، خاض غمار حرب غير منظمة ، لم يكن فيها ما يستحق الذكر سوى ما ارتكبه الفريقان من جرائم خلقية وأعمال تنطوى على القسوة »[٥] .

فهل كانت ثورة المصريين خالية من كل ما يستحق الذكر حقاً كما يدعى

---

(١) M. Rostovtzeff, S.E.H. Vol, II, pp. 707 — 708.

(٢) Polyb. V, 107, 1 — 3.

(٣) محمد عواد حسين « شئون مصر الداخلية وسياستها الخارجية على عهد ايوارجتيس الثانى » صفحات ١٣٧ — ١٣٩ ، (رسالة لم تنشر) .

(٤) Polyb. V, 107,1. ; Sottas, Rev. de L'Eg. anc., 1924, p. 237, fn. 1.

(٥) Polyb. XIV, XV, 33, 10.

پوليبيوس ؟ الواقع أن هذا المؤرخ القديم يهون كثيراً من شأن الثورة ، ولا يرى فيها أكثر من مجرد تغيير طرأ على علاقات الملك بشعبه ، مهملا الدوافع الأساسية العديدة التي دفعت إليها .

ويحسن لكي نقف على الأسباب الحقيقية لهذه الثورة أن ندرس أحداثها أولا : لقد شبت نيران الثورة في الدلتا ومصر الوسطى أولا ، كما يرجح ، ثم امتد لهيبها إلى مصر العليا عام ٢٠٧ — ٢٠٦ ق.م.[١] الأمر الذي أدى إلى توقف أعمال البناء في معبد إدفو العظيم لاحتماء الثوار داخله[٢] .

ولدينا وثيقة بردية[٣] ، لا يعرف تاريخها بالضبط ، ولكنها ترجع إلى القرن الثالث قبل الميلاد ، وهي تعطينا ترجمة إغريقية لنبوءة ديموطيقية قديمة تعرف بنبوءة صانع الفخار ، وتكشف هذه النبوءة عن بغض عظيم لمدينة الاسكندرية ومقت شديد للأجانب عامة ، وتحدثنا بأن أحد رجال مدينة هيراكليوپوليس سيحكم مصر بعد الأجانب والأيونيين[٤] ، فيحرر البلاد من مغتصبيها ويعيد العاصمة إلى منف . وقد اختلفت الآراء في العهد البطلمي الذي ترجع إليه هذه النبوءة ، وإذا صح أنها ترجع إلى عهد فيلوپاتور فلا يبعد أن كان زعيم هذه الثورة « التي نحن بصددها » من مدينة هيراكليوپوليس[٥] .

مهما يكن من أمر ، فقد تأججت نيران الثورة في كل مكان ، واعتدى الثوار على كل من كان يقف في سبيلهم . ويبدو أن المصريين جميعاً لم يشتركوا في هذه الثورة ، ونحن نستدل على ذلك من وثيقة بردية[٦] ترجع إلى نهاية القرن الثالث قبل الميلاد ، وتحدثنا عن اعتداء الثوار على منزل أحد المصريين الوطنيين ؛ كما يحدثنا حجر رشيد[٧] ، بأنهم اعتدوا على المعابد وأعملوا فيها

---

(١) P. Jouguet, Mac. Imp. p. 334.

(٢) Cf. E. Bevan, op. cit. pp. 239 — 240.

(٣) Melanges Maspero II, le Caire, 1939, pp. 119,120.

(٤) المقصود بكلمة الأجانب ، الفرس ، أما الأيونيون فيقصد بهم الاغريق (Cf. E. Bevan, op. cit. p. 240)

(٥) ابراهيم نصحى — الكتاب السابق ، ج ٢ ، ص ٧٦٩ .

(٦) B. G.U. 1213.

(٧) Mahaffy's History, pp. 152 — 158.

التخريب . ولعل فى ذلك مايدل على أن بعض رجال الدين لم يشاركوا بنى وطنهم ثورتهم ، وقد يكون ذلك راجعاً إلى المنح العظيمة التى أغدقها فيلوپاتور على الكهنة فى الوجه البحرى (١)، كما ترى « پريو » (٢) .

وتركزت الثورة فى منطقة طيبة التى عثر فيها على وثائق ديموطيقية مؤرخة باسم ملك يدعى « أرماخيس » وأخرى باسم ملك يدعى « أنخماخيس » (٣) . فهل استقلت طيبة تماماً عن السيادة البطلمية ؟ ومتى تربع هذان الملكان على عرشها ؟ .

يرى بعض المؤرخين أن اعتبار إقليم طيبة اقليما منفصلا مستقلا عن الحكم البطلمى آنذاك ينطوى على كثير من المبالغة والإسراف (٤) . ولكن الوثائق المؤرخة بسنى حكم الملكين سالفى الذكر تدل على أنهما حكما منطقة طيبة بين عامى ٢٠٦ ، ١٨٦ ق . م (٥) . هذا إلى أننا لانعثر فى الوثائق على مايثبت أن الحكومة البطلمية كانت تجبى الضرائب من منطقة طيبة بعد العام السادس عشر من عهد فيلوپاتور (٦) (عام ٢٠٦ ق . م) ؛ فلماذا نستبعد بعد ذلك انفصال هذا الاقليم واستقلاله عن البطالمة ؟ .

تلك أهم أحداث الثورة المصرية التى شبت على عهد فيلوپاتور كما ترويها الوثائق المعاصرة ، فما هى الدوافع التى أدت إلى اشتعالها ؟ أما پوليبيوس (٧) فيرى أنها كانت دوافع قومية تتلخص فى انبعاث الروح القومية عند المصريين عقب انتصارهم فى معركة رفح ، وأما « پريو » (٨) فترى أنها كانت دوافع

---

(١) E. Bevan, op. cit. pp. 388 — 392.

(٢) C. Preaux, Chr. d'Egypte, op. cit.,pp. 529-530

وهى تفرق بين كهنة مصر السفلى الذين ظلوا على ولائهم للبطالمة وكهنة مصر العليا الذين ناصبوهم العداء .

(٣) Revillout, Chrestomathie Demotique, pp. XCI—CI.

(٤) B.-Leclercq, op. cit. Vol. I, p. 365, fn. 2.

(٥) C. Preaux, op. cit. p. 531.

(٦) Ibid. pp. 531 — 532.

(٧) Polyb. V, 107,1.

(٨) C. Preaux, op. cit. pp. 528 — 530.

اقتصادية اجتماعية. لا أثر للعامل القومى فيها ، وهى تستدل على ذلك بعدم اشتراك كافة المصريين فيها . واعتداء الثوار على اخوانهم المصريين ، بل على المعابد ورجال الدين ، أما نحن فنرى أن كلا الرأيين يجنح عن الصواب ، وأن دوافع الثورة كانت قومية اقتصادية اجتماعية فى آن واحد : أحس المصريون بقوميتهم ، وبعث النصر فى قلوبهم موات الأمل ، وضاقوا فى نفس الوقت بما كانوا يرزحون تحته من أعباء اقتصادية فادحة ، وبرموا بسيادة الاغريق والمقدونيين عليهم ، فثاروا فى وجه غاصبيهم . وليس فى عدم اشتراك بعض المصريين فى الثورة ، واعتداء الثوار على بنى وطنهم ، وعلى المعابد الوطنية ، ما يبرر وجهة نظر « بريو » ; فلعل هؤلاء الذين تخلفوا عن الثورة فاعتدى عليهم الثوار ، كانوا ممن تنكبوا طريق الوطنية الحقة وآثروا السلامة والخنوع فلاقوا جزاءهم الحق على أيدى المتحمسين من أبناء وطنهم .

ويضيف Bevan[(١)] سبباً مقبولا إلى الأسباب التى يحتمل أنها دفعت المصريين إلى الثورة . ذلك هو بقاء التقاليد الفرعونية القديمة فى وادى النيل جنوبى مصر حيث لم يمتد سلطان البطالمة ، وكان المصريون يرون تقاليدهم هذه سائدة فيما وراء حدودهم الجنوبية ، فتشتعل نيران الوطنية فى صدورهم ويدفعهم ذلك إلى البذل أملا فى استرجاع ماضيهم المجيد وحريتهم المسلوبة .

أما نتائج الثورة فلا شك فى خطورتها : فلقد تطلب القضاء عليها مجهوداً عسكرياً عظيما ، ولا ريب فى أن هذا المجهود كان بعيد الأثر فى سياسة البطالمة الخارجية ، إذ شغلهم عن متابعة برنامجهم فى عالم البحر الأبيض المتوسط الدولى . ولاشك أيضاً فى أن الثورة قد أنقصت الأيدى العاملة ، وألحقت البوار بكثير من الأراضى الزراعية ، وعطلت كثيراً من الصناعات . أما الفوضى التى شملت مصر العليا فقد أثرت فى واردات مصر من الجنوب ، وفى العلاقات التجارية مع النوبة والصومال[(٢)] .

* * *

(١) E. Bevan, op. cit, pp. 260 — 61.

(٢) ابراهيم نصحي ، الكتاب السابق ، ص ٧٧٤

بطلميوس الخامس ومساوىء الوصاية

توفى بطلميوس الرابع تاركاً على العرش ابنه بطلميوس الخامس « ابيفانس » وكان طفلا صغير السن ، فتولى الوصاية عليه فاسق يدعى أجاثوكليس ، ولم يكن فى ذلك مايبشر بشىء من الخير ، فازداد الحال سوءاً ، وظل أوار الثورة مشتعلا فى جميع أنحاء البلاد ؛ أما فى الاسكندرية فقد قتل أجاثوكليس وأتباعه[1] ؛ وأما فى مصر السفلى فقد ضاق الناس ذرعاً بألوان العسف والاضطهاد التى تعرضوا لها حتى لقد أخذوا يقومون بهجماتهم الثورية على كل ما يمثل الثروة والقوة ؛ وأما فى مصرالعليا فقد كان انخاخيس لايزال مسيطراً على طيبة ، يعضده الإله آمون ضد الملك البطلمى .[2]

وتعاقب الأوصياء على إپيفانس بعد مقتل أجاثوكليس ، ولكنهم كانوا جميعاً خربى الذمة لاضمير لهم ، أعمت بصائرهم الشهوات والمصالح الذاتية ، فكثرت الدسائس فى البلاط الملكى[3] ؛ وأنهكت خزانة الدولة ، وانتهز انتيوخوس الثالث هذه الفرصة فأنزل بالقوات البطلمية هزيمة « پانيون » الساحقة[4] التى أفقدت البطالمة أملاكهم فى سوريا وآسيا الصغرى وتراقيا ، وأضاعت من أيديهم تجارة القوافل السورية ، وأسواقهم فى بحر إيجة ، ومن ثم نقصت موارد مصر من التجارة الدولية ومن أملاكها الخارجية نقصاً عظيما[5] .

ويبدو أن خطورة حال البلاد آنذاك قد اقتضت إصدار قرار عفو من جانب الملك لسائر سكان البلاد أملا فى وضع حد للاضطرابات[6] ؛ فعفا عن كل الثوار بوجه عام ، وعن الجنود المصريين بوجه خاص ، وأعطى المعابد والسكان عامة عدداً من المنح والهبات ، فألغى بعض الضرائب إلغاء

---

(١) Polyb. V, 63, xv, 25 — 36.

(٢) C. Preaux, op. cit. p. 532.

(٣) B.- Leclercq, op. cit. Vol. I, pp. 349 ff.

(٤) كان ذلك فى الحرب السورية الخامسة (Cf. Polyb. XXVIII, 1,2)

(٥) راجع ابراهيم نصحى ، الكتاب السابق ، ص ٧٧٦.

(٦) لم يصل الينا هذا القرار في وثيقة مستقلة ، وانما أشير اليه فى حجر رشيد .

كاملا ، وخفف البعض الآخر ، وتنازلت الدولة عما لها من ديون متأخرة قبل الأهالى ، وفكت أسر المسجونين ، وسمح الملك لمن خرج عن طاعته أثناء الاضطرابات بالعودة إلى ممتلكاته . أما المعابد ورجال الدين فقد غمرهم بفيض من عطفه وكرمه(١) .

* * *

الثورة الثالثة

غير أن هذه المحاولة الملكية لم تجد فتيلا : ويعتقد بعض المؤرخين أن القوات الحكومية قد حاصرت أبيدوس — التى احتدمت بها الثورة — فى العام السادس من حكم إپيفانس ، وذلك استناداً إلى عبارة خطها أحد الجنود على حائط معبد « ممنون » جاء فيها : « أنا فيلوكليس بن هيروكليس ، من تروين ، أتيت لأتعبد للإله سراپيس أثناء حصار أبيدوس فى العام السادس ، اليوم الثامن والعشرين من شهر بئونه »(٢) هذا وقد عثر فى نفس المعبد على اسم ملك نوبى جديد يدعى « هيرجونافور » « Hyrgonaphor » كان يحكم أبيدوس ، وقد هزم الجيش البطلمى الذى بعث إليه لإخضاعه(٣) . ونحن لا نعرف على وجه التحديد ما إذا كان هذا الملك قد خلف زميليه النوبيين ، وأنه قد حكم طيبة على عهد إپيفانس أم لا(٤) .

وعلى أية حال فنحن نخرج من ذلك كله بأن الثورة كانت مشتعلة فى مصر العليا فى أوائل عهد إپيفانس . أما فى مصر السفلى فإننا نجد الأدلة على احتدام

---

(١) O. G. I. Ş. 9o, ll. 13,15, 19.

(٢) Perdrizet et Lefébvre, les graffites grecs du Memnonion d'Abydos, 1919, no.32

(٣) Lacau, Un graffito d'Abydos ecrit en lettres grecs, Etudes de Papyrologie II, 1934, pp. 229 — 246.

(٤) يرى جوجيه أن هذا الملك حكم طيبة على عهد فيلوميتور ، وأن حصار أبيدوس قد حدث فى ذلك العهد أيضاً لا فى عهد ابيفانس .

(Cf. P. Jouguet, le Roi Nubien Hurgonaphor et les revolts de la Thebaide, Melanges Navarre, 1935, pp. 265 — 273.; Cf. Rev. Belge de Phil. et d'Hist. 1923 p. 420 fn. (1).)

الثورة هنـاك فى مصدرين : أولهما ماذكره پوليبيوس[1] ، عن حصار مدينة ليسكوبوليس فى العام الثامن من عهد إپيفانس ، وثانيهما ما جاء فى حجر رشيد[2] ، عن حصار هذه المدينة نفسها . وقد تضمنت هذه الوثيقة وصفاً للحصار وتسليم الثوار ، ومما يلاحظ أن الوثيقة قد وصفت الثائرين بأنهم كفار خارجون على الدين ، أما الكهنة فقد كانوا موالين للملك . وتعتقد « پريو »[3] ، أن هذه الثورة كانت ضد الملك وحده ، لا ضد الأجانب عامة ، وأن أسبابها كانت اقتصادية واجتماعية فحسب . غير أننا لا نميل إلى الموافقة على هذا الرأى : فإن كراهية المصريين للأجانب عامة كانت فى ازدياد مطرد ولم تكن هناك أسباب تدعو إلى زوال هذه الكراهية العميقة ، وإذا صح رأى « پريو » ، فلماذا لم تقض المنح المادية التى أغدقها الملك على الشعب والكهنة معاً فى القضاء على الثورة كما تعترف بذلك « پريو »[4] نفسها ؟ وبماذا نفسر اشتراك الزراع والجند فى الحركات الثورية بأعداد متزايدة ؟ إن الأسباب التى دفعت المصريين للثورة على عهد فيلوپاتور هى عين الأسباب التى دفعتهم إلى الثورة على عهد إپيفانس ، ولهذا نميل إلى الرأى القائل بأنها كانت ثورة قومية اقتصادية اجتماعية فى آن واحد[5] .

ولم يكن للعقاب الصارم الذى أنزله إپيفانس بالثوار ، ولا للمنح والهبات التى جاد بها على المصريين بعد الثورة ، أثر فى إخماد جذوتها ، فقد استمرت الثورة فى مصر العليا — على الأقل — حتى العام التاسع عشر من عهد هذا الملك (١٨٦ ق . م .) أى بعد صدور القرار الكهنوتى المسجل على حجر رشيد بعشرة أعوام كاملة . ونحن نستدل على ذلك من قرار عفو ديموطيقى عثر عليه منقوشاً على نصب تذكارى فى فيله . ويحدثنا هذا القرار بأن أحد

---

(١) Polyb. XXII, 7.

(٢) O. G.I. S. 90, ll. 22 — 27.

(٣) C. Preaux, op. cit. pp. 535 ff.

(٤) Ibib. loc. cit.

(٥) راجع ابراهيم نصحي ، الكتاب السابق ، ص ٧٧

قواد الملك إبيفانس قد استطاع فى السنة التاسعة عشرة من حكمه أن يقبض على انخاخيس — ذلك الملك الشرير الذى أوقف دفع الضرائب فى منطقة طيبة — وأن يأسر قواته النوبية ، وذلك فى اليوم السابع عشر من شهر أغسطس عام ١٨٦ ق . م (١). وفى نقوش معبد ادفو مايشهد أيضاً بهذا النصر البطلمى ، فقد جاء فيها أن أعمال التشييد بهذا المعبد استؤنفت من جديد بعد أن تعطلت ما يقرب من عشرين عاماً (٢) . واعتبر إبيفانس نصره على انخاخيس نصراً على النوبة كلها ، فأزال من آثار فيله أسماء الملوك النوبيين جميعاً (٣) . غير أن ذلك لم يقض على الثورة فى الجنوب حيث ظلت مشتعلة النيران حتى عام ١٨٤ — ١٨٣ ق . م . (٤) وفى ذلك العام أمكن إخماد الحركات الثورية فى مصر السفلى على يد پوليكراتيس الذى استولى على سايس وأخضع زعماء الثورة هناك (٥) . وما كاد هؤلاء الزعماء يقعون فى يد الملك حتى نكل بهم أبشع تنكيل فشدهم إلى عجلته الحربية وانطلق يعدو بها ، ثم أعدمهم جميعاً (٦) .

وحاول الملك بعد ذلك أن ينزل السكينة فى قلوب المصريين ، فأخذ يصدر أوامره إلى رجاله وموظفيه يذكرهم بوجوب التزام جانب العدالة مع الوطنيين ويأمر بإحضار جميع الموظفين المتهمين بالعسف أمامه مباشرة (٧) .

وما من شك فى أن هذه الثورات المستمرة قد أنزلت بالبلاد أبلغ الأضرار ، فاضطرب حبل الأمن إلى حد بعيد ، الأمر الذى دفع الحكومة إلى إعداد فرقة من المحاربين المصريين (ماخيموى) للعمل فى سفن الحراسة

---

(١) Sethe, Ziet. f. Sp., 53, 1917, pp. 35 — 49. (Cf. C. Preaux, op. cit. pp. 536 — 537)

(٢) Dümichen, Zeit. f. Aeg. Sp., 1870, pp. 3, 8, 9, PL. II. 23 — 25.

(٣) Gauthier, Livre des Rois, IV, pp, 423 - 429.

(٤) M. Rostovtzeff. S.E.H. Vol II, pp. 71 — 716.

(٥) Polyb. XXI, 20.

(٦) Strabo, XXII, 17.

(٧) C. Preaux, Ec. Roy. Lag. p. 522.; Tebt. Pap. 703, Intr.

النيلية (١) حتى لا تتعرض الملاحة فى النيل لعبث العابثين . ولحق البوار بكثير من الأراضى الزراعية إذ هجر المزارعون أراضيهم إبان الثورة فتناقص الدخل الملكى ، ولجأت الحكومة إلى حمل الموسرين على زراعة هذه الأراضى المهجورة ودفع ضرائبها . كذلك فقد كثير من الناس ممتلكاتهم العقارية ، وقلت الأيدى العاملة نتيجة لفرار كثير من الصناع والعمال ، وزاد الفقر واشتدت وطأته ، ونزل الحرمان بالكثيرين . وليس أدل على سوء الحالة الاقتصادية من تدهور قيمة العملة على عهد ابيفانس (٢) .

مهما يكن من أمر ، فقد هدأت الأحوال نسبياً فى أواخر عهد بطلميوس الخامس ، فترك البلاد أكثر استقراراً عما كانت عليه عند اعتلائه العرش . غير أن عوامل الثورة كانت باقية على حالها ، إذ لم يقم الملوك من جانبهم بأية محاولة جدية للقضاء عليها .

* * *

بطلميوس السادس والنزاع الأسرى

توفى ابيفانس عام ١٨٠ ق . م . فاعتلى العرش ابنه الطفل بطلميوس فيلوميتور (السادس) ؛ وشهدت البلاد مرة أخرى عهداً جديداً من عهود الوصاية على الملوك . ولقد استطاعت مصر حتى أوائل عهد هذا الملك أن تتقى شر داء النزاع الأسرى على العرش ، ذلك النزاع الذى قطع أوصال ممالك الشرق الهيلينستى جميعاً . ولكن ما كادت تنقضى بضع سنين من حكم فيلوميتور حتى دارت الدائرة على مصر بظهور هذا الداء الوبيل فيها . ويرى «شتراك»(٣) ــ بحق ــ أن عهد فيلوميتور يعتبر بداية فترة جديدة فى عصر البطالمة امتازت باشتداد الصراع الأسرى على العرش ، وتأثر هذا الصراع بعوامل داخلية وخارجية ، وذلك لأن الضعف الذى انتاب البطالمة الأواخر ، سلبهم هيبتهم،

---

(١) M. Rostovtzeff, op. cit. pp. 715; Vol III, pp. 1494 - 5.
ويحتمل أن هذه الفرقة كانت معدة منذ أواخر عهد فيلوباتور .

(٢) P. Mich. III, 182.

(٣) M. Strack, Die Dynastie der Ptolemaër, p. 31.

وزعزع مكانتهم ، وأطمع فيهم منافسيهم فى الداخل والخارج على السواء .
وإذا كان السبب المباشر لهذا النزاع نتيجة للعداء بين مصر وسوريا ، فإن روما ــ من ناحيتها ــ قد قامت بدور هام فى استحكام حلقات النضال بين الأخوين فيلوميتور وبطلميوس الصغير الذى عرف فيما بعد باسم بطلميوس ايوارجتيس الثانى .

وتولت الوصاية على فيلوميتور أول الأمر والدته كليوبترة الأولى التى وضعت نصب عينيها العمل لصالح مصر أولا وقبل كل شيء [١] . فلما توفيت آلت الوصاية إلى كل من إيولاوس (Eulaos) ، وليناوس (Lenaos) ، وأولهما خصى مقدونى ، والثانى عبد سورى [٢] ولم يكن أيهما كفء للمهمة التى اضطلع بها فى ظروف كانت البلاد فيها أشد ما تكون احتياجاً لساسة من الدهاة المحنكين . وأثار هذان الوصيان المشكلة السورية التى تجنبتها كليوبترة الأولى ، ودارت رحى القتال ، فوقع فيلوميتور أسيراً فى يد خاله الملك السلوكى ، وعند ذاك أعلن أهل الاسكندرية بطلميوس الصغير ملكاً على البلاد عام ١٦٩ ق.م. [٣] ثم اضطر انتيوخوس ــ أمام الظروف التى جدت فى بلاده ــ إلى الخروج من مصر ، تاركا فيلوميتور فى ممفيس ، بينما كان بطلميوس الصغير فى الاسكندرية ، وسرعان ما اتفق الأخوان على حكم البلاد بالاشتراك ، الأمر الذى قضى على آمال أنتيوخوس التى بناها على قيام نزاع بين الأخوين ، ولهذا عاد سريعاً إلى مصر فى حملة ثانية ، فاستولى على ممفيس ، وتقدم نحو

---

(١) P. Jouguet, Les Debuts du régne de Ptolemée Philometor....., p. 199 (Rev Phil. Hist. et d' Lit. anc. Vol. XI, 1937.)

(٢) Diod. XXX, 15 — 16; Polyb. XXVIII, 2, 1; Livy XIII, 29; Hier . in Daniel, XI, 21

(٣) تضاربت آراء المؤرخين فى هذا الحادث تضارباً شديداً ، وقد بحثنا هذه الآراء بحثاً مفصلا في رسالتنا التي لم تنشر بعد (شئون مصر الداخلية وسياستها الخارجية على عهد بطلميوس ايوارجتيس الثانى) ص ٣٠٨ والصفحات التالية .
(Cf.Otto, Zur geschichte der Zeit des6 Ptolemaërs pp.47—57.)

الاسكندرية ، وبينما هو يستعد لدخولها ، وصلته بعثة من روما ، أكرهته على الخروج من البلاد ذليلا مهانا (١) .

الثورة الرابعة

وبدأت فى مصر فترة الحكم المشترك ، وهو حكم لم يكن يبشر بالاستقرار ، وكان فرصة ذهبية رأى ديونيسيوس پتوسراپيس المصريون أن ينتهزوها للتخلص من الحكم البطلمى كلية ، لشدة ما أنزله بهم من صنوف العسف والإرهاق ، ولهذا سرعان ما لبوا نداء الثورة الذى هتف به رجل منهم كان يحتل فى نفوسهم منزلة رفيعة ، ويشغل فى القصر الملكى منصباً ممتازاً ، ذلك هو ديونيسيوس پتوسراپيس(٢) (Dionisius Petosarapis).

والواقع أن الظروف قد عاونت هذا الزعيم الوطنى على القيام بحركته الثورية معاونة طيبة ، فإن الثورة القومية التى اندلع لهيبها على عهد إپيفانس واضطراب شئون البلاد أثناء اضطلاع إيولاوس ولينياوس بالوصاية ، وما ترتب على غزوتى أنتيوخوس الرابع من تخريب وتدمير ، هذا كله مجتمعاً أنزل بالأراضى الزراعية أبلغ الأضرار(٣) ، وزاد من فقر وحرمان شعب(٤) كان يرهقه نظام مالى غاشم ، فاستفحل عداء المصريين للبطالمة(٥) ، واستعدوا لتجديد ثوراتهم ، ولم يكن ينقصهم إلا الزعيم الذى يقودها .

ولما كان ديونيسيوس من رجال القصر الملكى الذين أظهروا كفاءة نادرة فى الحرب السورية السادسة(٦) ، وكان القصر الملكى يعج آنذاك بأنواع

(١) محمد عواد حسين ، الرسالة السابقة ، ص ٢٨٣ .

(٢) كان ديونيسيوس يحمل لقب «صديق الملك» وهو أحد الألقاب الفخرية التي كان البطالمة يمنحونها للمقربين اليهم ومن يعملون في خدمتهم ، ولا ريب في أن وجود وطني مصري في البلاط الملكي يتمتع بمثل هذا اللقب الرفيع ، يعتبر حدثاً جديداً بالنسبة لما درج عليه البطالمة الأوائل من ايثار الأجانب على الوطنيين ، ولعل ديونيسيوس كان أول وطنى فاز بهذه المكانة السامية (Cf. Bevan. op. cit, p. 289) .

(٣) M. Rostovtzeff. op. cit. Vol. II, p. 719.

(٤) C. Preaux, Chr. d'Egypte, op. cit. p. 539.

(٥) P. Jouguet, Rev. Bélge de phil. et d' Hist, I, p. 420, fn. 1.

(٦) Ibid. l'Imp. Mac. p. 288

الدسائس والوشايات بين أفراد حاشيتي الملكين ، فليس لنا أن نعجب إذاً من أن الحركة الثورية قد بدأت فى الإسكندرية ، عاصمة البلاد[١] ، التى اكتوت بنار الحصار من قوات أنتيوخوس فترة طويلة ، والتى تكشف فيها ضعف السلطة المركزية بأجلى مظاهره[٢] .

وتدل الوسيلة التى لجأ إليها ديونيسيوس لإشعال نيران الثورة فى الإسكندرية على معرفة جيدة بنفسية الجماهير : فقد كان يدرك أن الشعب الإسكندرى يفضل بطلميوس الصغير على أخيه فيلوميتور ، لأن هذا الشعب هو الذى أقام بطلميوس الصغير ملكا ، وأجلسه على العرش بمحض اختياره عند ما وقع فيلوميتور فى أسر خاله . ولهذا أذاع ديونيسيوس أن الأخ الأكبر غير راض عن مشاركة أخيه له فى الحكم ، وأنه يدبر الأمر لقتله والتخلص منه ، ولكى يؤكد هذا الزعيم الوطنى مزاعمه ، ادعى أن فيلوميتور قد كلفه هو بعملية القتل ، ووزع النشرات التى تحمل هذه المعانى فى الأسواق والنوادى العامة ، فثارت ثائرة الإسكندريين[٣] .

وتجمهر الناس فى ميدان السباق العام بالمدينة ، وقرروا وهم فى أشد حالات الغضب والسخط أن يقتلوا فيلوميتور لينفرد بطلميوس الصغير بالحكم ، وكان طبيعياً أن تترامى أنباء هذه الفتنة إلى القصر الملكى ، وخشى فيلوميتور أن يصدق أخوه الأصغر هذه الدعوى الظالمة ، فاستدعاه ، ودافع أمامه عن نفسه وهو يذرف الدمع ، وأفهمه أن ديونيسيوس المصرى الوطنى إنما يبغى التخلص منهما معاً ليصل هو إلى العرش ، وطلب إليه بعد ذلك أن يحكم البلاد منفرداً إذ كانت لا تزال فى نفسه القلقة الحائرة بقية من خوف أو عدم اطمئنان[٤] وكانت هذه النغمة التى تحدث بها فيلوميتور مخلصاً ، كفيلة بتهدئة روع أخيه الأصغر ، فاستمع إلى النصيحة وخرجا معاً إلى شرفة القصر الملكى ، وأطلا

(١) Ibid. Rev. Bélge de phil. et d'Hist. p. 422.

(٢) C. Preaux, op. cit. p. 538.

(٣) Cf. Otto, op. cit. pp. 71 — 91; E. Bevan, op. cit. p. 289.

(٤) ابراهيم نصحي ، الكتاب السابق ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

على الجماهير المحتشدة تعلوهما شارات الملك ليثبتا للناس أنهما على أتم وفاق[١].

وهكذا انهارت آمال ديونيسيوس الذى كان يزدرى شباب الملكين ، ويحاول أن يتخلص من كبيرهما أولا ، لينقلب من بعد على الأخ الأصغر ويتخلص منه هو الآخر[٢] . فلما انكشفت نواياه ، فر إلى إليوسس (ضاحية الإسكندرية) حيث انضم إليه عدد من أنصار الثورة وحوالى أربعة آلاف من الجند العصاة . وتشك « بريو »[٣] فى اعتبار هؤلاء الجند من المصريين الوطنيين (μάχιμοι) ، إلا أننا لا نرى محلا لهذا الشك ، إذ يبعد أن ينضم إلى ديونيسيوس فى ثورته ضد البطالمة جند من الإغريق والمقدونيين الذين أغدق عليهم الملوك سابغ عطفهم وكريم منحهم . ومهما يكن من أمر فقد مضى فيلوميتور فى أثر الثوار وأوقع بالزعيم ديونيسيوس هزيمة منكرة ، أكرهته على السباحة عبر الفرع الكانوبى وهو عارى الجسد ، وانتهت بقتل عدد كبير من أتباعه[٤] .

الثورة فى الصعيد

وينتهى ديودوروس[٥] من حديثه عن هذه الثورة بأن ديونيسيوس قد فر إلى مصر العليا حيث استطاع أن يستغل مركزه بين الوطنيين لإشعال نار ثورة أخرى. على أننا لم نعد نسمع عنه بعد ذلك ، ولا نعرف كيف انتهت حياته . وكانت ثورة الصعيد جامحة عنيفة ، فاضطر فيلوميتور إلى الزحف بقوات كبيرة للقضاء عليها . ويحدثنا ديودوروس عن المجهودات التى بذلها الملك للقضاء على الثورة والثائرين قائلا :

---

(١) P. Jouguet, H.N.E. III, p. 148

(٢) B.-Leclercq, II, pp. 27 ff; Mahaffy's Empire, p. 342.

(٣) C. Preaux, loc. cit.

(٤) P. Jouguet, Rev. Bélge de Phil. op. cit. p. 422; L'Imp. Mac. p. 289; C. Preaux, op. cit. pp. 538 — 9.

(٥) Diod. XXXI, 15.

ويعتبر ديودوروس مرجعنا الوحيد عن ثورة ديونيسيوس بيتوسرابيس . ولقد كان الباحث الألمانى موللر C. Muller أول من عثر على ما كتبه ذلك المؤرخ الاغريقى القديم فى هذا الصدد ، وذلك فى مكتبة الاسكوريال .

(Cf. Mahaffy's Empire, p. 432.)

« حمل الملك فيلوميتور على الثائرين بقوات كبيرة واستطاع أن يبسط سلطانه فى منطقة طيبة دون كبير عناء . ولكن مدينة پانوپوليس (اخميم) وقفت فى سبيله بفضل قيامها على مرتفع من الأرض وبفضل ما أقيم حولها من تحصينات ، وقد اتخذها الثوار معقلا لهم وتحصنوا فيها ؛ غير أن فيلوميتور حاصرها حصاراً محكما ، واستطاع آخر الأمر أن يسقطها بعد أن تحمل كثيراً من المشاق ، ثم عاد بعد ذلك إلى الإسكندرية »[١] .

ولقد كانت هذه الثورة ذيلا لحركة ديونيسيوس ، ولعلها — كما يرجح چوجيه[٢] ، وجرنفل وهنت[٣] — هى المقصودة بالاشارة التى وردت فى إحدى الوثائق البردية[٤] عن حدوث حرب فى البلاد . ويختلف المؤرخون اختلافا ظاهراً فى تأريخ هذه الثورة ، فيرى « ماهافى »[٥] ، و « لكلرك »[٦] أنها وقعت فى عام ١٦٧ — ١٦٦ ق.م. بينما يرى «روستفتزف»[٧] و «أوتو»[٨] كما ترى «پرپو»[٩] أنها وقعت فى عام ١٦٥ — ١٦٤ ق.م. ونحن ، أمام ما نعرفه من أن الأخ الأكبر قد شعر عقب عودته منتصراً من الصعيد باستحالة بقائه فى الاسكندرية مشتركا مع أخيه الأصغر فى حكم البلاد فغادرها إلى روما فى النصف الثانى من عام ١٦٤ ق.م. نرجح صحة التاريخ الأخير .

وكان فيلوميتور يتوقع أن تستقبله الاسكندرية هاتفة باسمه بعد أن سحق الثورة فى الصعيد ، وأن يبسط له أخوه الأصغر ذراعيه وقد أنقذ العرش من تدبير وطنى محكم كاد يودى بحكم الأسرة كلها . ولكن بطلميوس الصغير كان تواقا للانفراد بالحكم فاستغل حب الاسكندريين له وهيأهم للثورة ضد أخيه

(١) Diod. XXXI, 17.
(٢) p. Jouguet, Rev. Bélge ... op. cit. p. 420, fn. 1.
(٣) Grenfell & Hunt, Amh. Pap. Vol. II p. 33
(٤) U. Wilcken, Chrest.No.9=Amh. Pap. Vol. II,No 30.
(٥) Mahaffy's Empire p. 343.
(٦) B. - Leclercq, Hist. Lag. II. p. 29.
(٧) M. Rostovtzeff, loc. cit.
(٨) Otto, op. cit. pp. 71 & 91.
(٩) C. Preaux, op. cit. p. 542.

الأكبر عند عودته. وآثر هذا السلامة، فالتجأ إلى روما يشكو لشيوخها وشعبها أخاه الأصغر(١). ولما كانت آخر وثيقة بردية وصلت إلينا من فترة الحكم المشترك مؤرخة فى اليوم الثالث والعشرين من شهر أكتوبر عام ١٦٤ ق م(٢) فلابد إذاً من أن خروج فيلوميتور من مصر قد حدث فى أواخر هذا العام.

ولسنا الآن بصدد مناقشة ذلك الموقف الذى اتخذه فيلوميتور بالتجائه إلى روما، ولقد تناولناه بالتفصيل فى مكان آخر(٣)، إنما الذى يهمنا هنا هو أن نحلل تلك الثورة الوطنية التى أشعلها بيتوسرابيس فى الاسكندرية وامتدت بعد ذلك إلى الصعيد، ثم نبين آثارها فى البلاد.

إن «كلير بريو(٤)» لتصر مرة أخرى على أن هذه الثورة لم تكن قومية، وهى تستدل على ذلك بهجوم الثوار على المعابد المصرية وتخريبها دون مراعاة لحرمتها. ولدينا وثيقة بردية تشرح ما أصاب أحد المعابد ـ بإقليم ارسينوى ـ جاء فيها: «إن حرم المعبد قد اجتيح على يد رجال إنتيوخوس فى.. من السنة الثانية (١٦٨ ق.م.) ثم أصلحت الأرض المقدسة وأعيد المعبد إلى ما كان عليه، ولكن الثوار المصريين هاجموه بعد ذلك ولم يقنعوا بتحطيم بعض أجزائه، فهدموا الأبنية الحجرية بالحرم المقدس، كما هدموا أبواب المدخل والأبواب الأخرى، ثم أسقطوا أجزاء من السقف، وأمام هذه الأعمال اضطررت إلى إقامة المتاريس عند الأبواب والمداخل حتى لا تسقط الأعمدة الباقية(٥)».

ونحن نعود فنكرر أن هذه الظاهرة لا تنهض دليلا على أن الثورات لم تكن قومية، بل لعلها على العكس كانت قومية جامحة حتى تضاءل أمامها مركز الكهنة الذين لم يشاركوا الوطنيين ثورتهم وظلوا على ولائهم للبطالمة، فلم يتورع الثوار عن مهاجمة معابدهم. وإذا صح أن الدافع إلى عمل الأهالى كان النهب والسلب لما اكتفوا بتخريب أبنية المعبد على نحو ما تحدثنا به الوثيقة المذكورة.

---

(١) B.- Leclercq, op. cit Vol. II, p. 30; P. Jouguet, H.N.E. III, p. 148.

(٢) Louvre Pap. No.63 a&c.

(٣) محمد عواد حسين، الرسالة سالفة الذكر، ص ٣٠ ـ ٣١

(٤) C. Preaux, op. cit. p.540.

(٥) Tebt. Pap. No. 781.

وإذاً فقد كانت هذه الثورة كسابقاتها ، دفعت إليها عوامل قومية إلى جانب العوامل الاقتصادية والاجتماعية التي شرحناها .

والواقع أن الإدارة كانت قد فسدت فساداً عظيماً ، وشاع الفقر حتى أوشكت الخزانة على الإفلاس[1]، ووجد الموظفون أنفسهم أمام ملك يريد ملء خزانته وشعب جائع خاوي الوفاض ، فاضطروا إلى اصطناع العنف والشدة ، مما أسرع بالحياة الاجتماعية إلى أشد حالات الفوضى والانحلال .

أما الآثار التي تمخضت عنها هذه الثورة فكانت عنيفة جد خطيرة : اشترك فيها عدد كبير جداً من الأهالي ، مات بعضهم في المعارك وأعدم بعضهم عقب إخماد الثورة ، واختفى البعض الآخر في الأحراش حيث عاشوا عيشة اللصوص وقطاع الطرق . وترتب على ذلك — كما حدث في الثورات السابقة — أن تركت الأرض الزراعية مهجورة لاتجد من يفلحها وقلت الأيدي العاملة ، ونفق كثير من المواشي ، فلا عجب إذاً أن تهددت البلاد في السنة الثالثة للثورة مجاعة هائلة[2] ، وأن وصفت وثيقة بردية من عام ١٦٤ ق . م ، أي آخر أعوام الحكم المشترك ، هذه الثورة بأنها كانت طامة كبرى[3] .

ويبدو من هذه الوثيقة أن فيلوميتور وأخاه طلبا من وزير المالية « هيروداس » أن يعمل على إنقاذ البلاد من الهوة التي تردت فيها ، فأصدر هذا إلى مرءوسيه تعليمات ، لعل أهم ماجاء فيها إرغام الجميع « Πᾶντες » على المساهمة في زراعة الأراضي المهجورة وذلك بتوزيعها على القادرين على الاضطلاع بهذا العبء الذي خففته الحكومة بأن قررت تخفيض قيمة الايجارات ووعدت بتقديم القروض للمحتاجين . ولكن موظفي هيروداس فسروا كلمة « Πᾶντες » تفسيراً حرفياً ولم يراعوا حالة الذين فرضوا عليهم زراعة الأراضي المهجورة ، بل لقد استطاع الأغنياء وذوو الجاه التخلص من هذا الإلزام بفضل مراكزهم الرفيعة ، والرشاوى التي كانوا يقدمونها

---

(١) C. Preaux, op. cit. p. 539.

(٢) M. Rostovtzeff, op. cit, Vol II, pp. 719 — 720.

(٣) U. P. Z. 110.

للموظفين ، وهكذا وقع العبء كله على المستضعفين والفقراء من الفلاحين الملكيين وعمال المصانع وأصحاب الاقطاعات ولاسيما الوطنيين منهم . وازداد الموقف حرجاً ، وانهمر سيل الشكاوى على القصر الملكى ، واضطر هيروداس إلى إرسال تعليمات جديدة لموظفيه يلومهم فيها بلهجة جافة صارمة على سوء تصرفهم ويطلب إليهم التفرقة بين القادرين ، على تحمل الأعباء وغير القادرين[١] .

وتحدثنا إحدى الوثائق البردية[٢] . بأن الناس كانوا ينتهزون فرصة هذه الفوضى الشاملة فيغتصبون أملاك غيرهم قوة واقتداراً . ولدينا وثيقة أخرى[٣] كشفت حديثاً فى الدير البحرى ، وهى توضح مقدار الفوضى الاقتصادية التى سببتها الاضطرابات الثورية فى منطقة طيبة ، والوثيقة عبارة عن شكوى مقدمة من أحد الأشخاص ضد شخص آخر ، وذلك لأن هذا الأخير اشترى جزءاً ووضع يده على جزء آخر من قطعة أرض تبلغ مساحتها ثمانين أرورا ، وكانت هذه القطعة ملكا لزوجة مقدم الشكوى ، واعتبرت أثناء الاضطرابات الثورية « ταραχή » أرضاً لا صاحب لها ، ويبدو أن المشتكى وزوجته كانا ممن يطلق عليهم آنذاك « ἐν τοῖς κάτω τόποις » أى الذين فروا من الجنوب إلى الشمال حيث استقروا فترة من الزمن كانت كافية لاعتبار الأرض موضوع الشكوى لامالك لها ، ومن ثم يمكن الاستيلاء عليها . وإذا كنا لانعلم شيئاً ثابتاً عن المشتكى وزوجته ، فإن الظروف تحملنا على الإعتقاد بأنهما لم ينضما إلى الثوار الوطنيين ، وفضلا الفرار إلى الشمال كى لا يلحق بهما أذى ، فقابل الوطنيون الثائرون ذلك العمل بمصادرة أملاكهما[٤] .

لقد كان شعور المصريين عدائياً ضد كل من يقف فى سبيل ثورتهم ،

---

(١) M. Rostovtzeff, op. cit. pp. 720 — 721.

(٢) Amherst Pap. No.30.

(٣) U. Wilcken, Archiv für Pap. No.XI, 1935 pp. 792ff.; Collart et Jouguet, Études de Pap. II, 1934, pp. 23 ff

(٤) ابراهيم نصحى ، الكتاب السابق ، جـ ٢ ، ص ٧٨٢

وإذا كان ذلك الشعور قد دفعهم إلى الإعتداء على المعابد المصرية ، وعلى أملاك المصريين المتخلفين ، فلاشك فى أن موقفهم حيال الاغريق والمقدونيين كان أشد وأعنف . وتعطينا قصة بطلميوس المتصوف فى معبد السراپيوم(١) فكرة عن مشاعر المصريين نحو الاغريق ، فقد لجأ هذا الرجل إلى المعبد المذكور ليتعبد هناك ويتفادى الاضطرابات ، ولكن كهنة المعبد المصريين اعتدوا عليه لأنه كان - كما ذكر فى شكواه - اغريقيا .

* * *

ونعود إلى موقف روما من شكوى فيلوميتور فنقول إنها نصحت له بالذهاب إلى قبرص ريثما تتصرف من جانبها فى المشكلة ، ولكن عسف بطلميوس الصغير فى الاسكندرية وهو منفرد بالحكم ، بغضه إلى قلوب محبيه ، فأرسل الاسكندريون إلى فيلوميتور يستدعونه من قبرص . وفى عام ١٦٣ ق . م . تم الاتفاق بين الأخوين — على يد روما — على أن يستقل بطلميوس الصغير ببرقة ، وتبقى مصر وقبرص لفيلوميتور(٢) .

وأراد فيلوميتور أن يعيد السلام والهدوء الى البلاد ، فأصدر فى اليوم الخامس والعشرين من شهر مسرى خلال السنة الثامنة عشرة من حكمه(٣)، قراراً نص فيه على العفو عن كل الجرائم التى ارتكبت منذ ارتقائه العرش تحت وصاية أمه ، إلى السابع عشر من أغسطس عام ١٦٣ ق . م . غير أن ذلك الإجراء لم يؤد إلى الغرض المنشود منه ، فاستمر نشاط عصابات اللصوص فى الأنحاء

---

(١) U. P. Z. I, pp. 104 ff.

(٢) Ibid. I p. 189.

(٣) Brunet de Presle, Notices et Extraits . . . No.63. ; U.P.Z. III.

ويتضح من تأريخ هذه الوثيقة أن فيلوميتور قد عاد بعد انفراده بالحكم الي اعتبار سني حكمه ابتداء من عام ١٨١ — ١٨٠ ق . م . وهي السنة التي تولي فيها العرش بعد وصاية أمه كليوبترة الأولي . أي أنه ألغي نظام التأريخ الذي اتبع خلال اشتراك أخيه الأصغر معه في الحكم ، وهو النظام الذي اعتبر فيه عام ١٦٩ — ١٦٨ ق.م. أول سني الحكم .

المجاورة لمعبد سرابيوم منف فى عام ١٥٧ ق . م[١]، وعام ١٥٢ ق . م [٢] ؛ كما حوكم كثير من الفلاحين الملكيين حوالى عام ١٥٧ ق . م . بجرائم مختلفة[٣] .

* * *

بطلميوس ايوارجتيس الثانى

توفى فيلوميتور فجأة خلال الحرب السورية السابعة ، فارتقى أخوه الأصغر العرش باسم بطلميوس ايوارجتيس الثانى ، واستهل حكمه بسلسلة من الجرائم المنكرة محاولا تطهير الجو من أعدائه وإبعاد كل خطر قد يطيح به من فوق ذلك العرش الذى تربع عليه من قبل ثم حرم منه فترة غير قصيرة ، وجاهد من أجله جهاداً شاقاً عنيفاً . وليس من العجيب بعد ذلك ، أن نرى كراهية ايوارجتيس الثانى تتأصل فى نفوس الشعب ، وأن نرى الاسكندريين يطلقون عليه لقب « الطالح » بدلا من اللقب الإلهى الذى أراده هو لنفسه ، وهو « الصالح » [٤]

وحاول ايوارجتيس بعد كل هذه الفظائع أن يهدىء خواطر الشعب ، فاتبع سنة أسلافه بأن أصدر قرارين من قرارات العفو ، وجه أحدهما إلى أهل مصر ، والثانى لجند قبرص . ويعتقد بعض المؤرخين [٥] ، أن ايوارجتيس الثانى لم يصدر آنذاك (١٤٤ ق.م.) سوى قرار عفو واحد ، هو الذى أذاعه من ممفيس بمناسبة تتويجه الفرعونى ، وميلاد ابنه ممفيتس ، والذى جاء نصه فى إحدى برديات تورين [٦] . ولكن « ميتفورد » Mitford عثر فى متحف قبرص (فى صيف عام ١٩٣٦ — ١٩٣٧ م) على نقش فوق قاعدة تمثال من

(١) U.P.Z., 122, 9.
(٢) Ibid, 71, 7.
(٣) Tebt. Pap. 742, ll. 26 ff.; 32 ff.
(٤) محمد عواد حسين ، الرسالة السابقة ، ص ٥٢ — ص ٥٥ .
(٥) Mahaffy's Empire p. 381; E. Bevan, op. cit p.309; Grenfell & Hunt, Tebt. Pap. p. 37; B.- Leclercq, op. cit. p. 63
(٦) Tor. Pap. I, IX, 21 (144 B.C.)

المرمر الرمادى ، وتبين من دراسته أنه قرار عفو أصدره من إيوار جتيس الثانى إلى أهل الجزيرة عامة وحاميتها العسكرية على وجه التخصيص ، وكان هذا القرار مصحوباً بخطاب ملكى(١) . ويرجع تاريخ هذا النقش إلى عام ١٤٤ ق.م. وهو نفس العام الذى صدر فيه القرار الأول ، مما يبعث على الاعتقاد بأنهما صدرا فى وقت واحد .

وكان متوقعاً بعد ذلك أن يسود السلام فى البلاد ، وأن يزدهر عهد ايوارجتيس الثانى . فقد صفا الجو بينه وبين أخته الزوجة كليوبترة الثانية ، كما استمال رعيته بقرارى العفو سالفى الذكر ، ولكن لم يكد ينصرم عام وبعض عام حتى اقترف ايوارجتيس الثانى عملا من أعماله الغريبة ، فعاود الجو اكفهراره واضطرب حبل الأمور من جديد ، وبدت نذر الثورة فى البلاد : ذلك أنه تزوج من كليوبترة الثالثة ابنة أخيه الأكبر فيلوميتور ، التى كانت فى نفس الوقت ابنة زوجته كليوبترة الثانية ، وذلك بعد اعتدائه على عفافها (٢) .

وبات متوقعاً أن ينفجر مرجل الثورة فى الاسكندرية الغاضبة الجائعة ، وأحس ايوارجتيس الثانى بالخطر يدنو منه ويكاد يعصف بعرشه ، فحاول أن يتقرّب إلى الشعب بشتى الطرق ، فإذا به يخفف من عبء الضرائب التى أثقلت كاهل الرعية (٣) ، ويبدى حماساً فياضاً فى إصلاح المعابد وتشييدها (٤) ، ويغدق على رجال الدين كثيراً من الامتيازات التى أعادت إليهم بعض نفوذهم القديم(٥). على أن هذه الأعمال الصالحة لم تؤت أكلها إلا خارج العاصمة حيث

---

(١) T.B. Mitford, An Unpublished Act of Amnesty from Ptolemaic Cyprus. (Actes du 5 ème Congrés Inter. de Pap. Bruxelle, 1938, pp. 291 — 299) ; U. Wilcken, Arch. für Pap. XIII, 1938, pp. 32 — 33.

(٢) Justin, XXXVIII, 8,5.

ولقد اختلفت آراء المؤرخين فى تأريخ هذا الزواج ، وناقشنا نحن هذه المشكلة تفصيلا ، ورجحنا ألا يكون الزواج قد تأخر عن عام ١٤١ ق . م. (راجع محمد عواد حسين ، الرسالة السابقة ، ص ٥٩ — ٦٠) .

(٣) Tebt. Pap. No. 6.

(٤) B. - Leclercq, op. cit. p. 71.

(٥) C. Preaux, Chr. d'Egypte, op. cit. p. 543.

كان الناس يعيشون بعيدين عن الملك لم يمسسهم من شروره إلا القليل ؛ أما فى الاسكندرية ، حيث تجرى الأمور تحت أبصار أهلها وسمعهم ، فإن الحال مضت من سيء إلى أسوأ ، إذ أسرف الملك فى عسفه واشتط فى معاملة المناوئين له ، وكانت هناك فئات من الناس تعمل على إبعاده والخلاص منه ، وعلى رأس هؤلاء زوجته الأولى كليوبترة الثانية التى تحملت من فظاعة أخيها ووحشيته فوق ما يحمل البشر .

الثورة الخامسة والنزاع الأسرى

وأخيراً التهبت نيران الثورة ، وعمل الملك على أن يقضى على حركة الثوار فى مهدها ، فأوعز بقتل عدد كبير من الشبان كانوا مجتمعين فى الجمنازيوم ، واختار لذلك وسيلة تدل على الاسراف فى الوحشية ، إذ أمر بمحاصرتهم داخل النادى واضرام النار فيهم ، وعندما أفلح عدد منهم فى الفرار ، قبض عليهم وأعدموا (١) .

ويقول شتراك (٢) إننا لا نعرف تاريخ هذا الحادث على وجه الدقة ، ولكن أغلب المؤرخين يرجحون وقوعه حوالى عام ١٣٢ — ١٣١ ق.م.(٣) أى حوالى السنة الأربعين من حكم إيوارجتيس الثانى . ويتفق هذا الرأى مع ما ذكره المؤرخ الرومانى چوستينوس (٤) من أن هذه الأحداث وقعت بعد أن زارت مصر السفارة الرومانية التى كان يرأسها « سكپيو أيميليانوس » ؛ ولا يتنافى مع ما ذكره المؤرخ اليونانى ديودوروس من أن إيوارجتيس الثانى قد استطاع — برغم فظاعته وقسوته — أن يحكم البلاد خمسة عشر يوماً قبل أن يبدأ النزاع بينه وبين أخته (٥) . ويحسب ديودوروس هذه الأعوام

---

(١) Valer. Max. IX, 2, Ext. 5.

(٢) Strack, op. cit. p. 45.

(٣) M. Rostovtzeff, op. cit. p. 873; B.-Leclercq, op. cit. P.71, fn. 2; P. Jouguet, Rev. Bélge de phil. op. cit. p. 420, fn. 1.; H.N.E., III, p. 157; E. Bevan, op. cit. p. 311.

(٤) Justin, XXXVIII, 8,2 (post dicem legatorum).

(٥) Diod. XXXIII, 28 a (Πέντε καὶ δέκα ἔτη ὁ νεώτερος Πτολεμαῖος ἐβασίλευσε μετὰ τὸν πρεσβύτερον ἀδελφόν...)

ابتداء من سنة ١٤٥ ق. م. التى اعتلى فيها إيوار جتيس الثانى عرش مصر عقب وفاة فيلوميتور، ومعنى هذا، أن الحادث الذى اعتبر بمثابة بداية للثورة يرجع إلى عام ١٣١ ق. م. وهو رأى نميل إلى قبوله.

وكانت نتيجة هذا الجرم الشنيع أن تجمع الاسكندريون حول قصر الملك يحاولون إحراقه هو وزوجته الصغيرة كليوبترة الثالثة التى لوّثت فراش أمها، ولكن إيوارجتيس الثانى فرّ هارباً إلى قبرص مصطحباً هذه الزوجة وابنه ممفيتس الذى أنجبه من زوجته الأولى كليوبتره الثانية، وذلك لكى يحول دون استفادة أمه منه فى هذه الظروف[١]. واعتلت كليوبتره الثانية عرش مصر منفردة، واتخذت لنفسها لقب «الإلهة المحبة لأمها المنقذة[٢]».

ومن قبرص بدأ إيوارجتيس الثانى صراعه العنيف ضد أخته وزوجته، ويرى روستفتزف[٣] أن البلاد قد انقسمت قسمين آنذاك: قسم يؤيد كليوبترة الثانية ويتألف من أهل الاسكندرية أو على الأقل جانب من الاغريق، وكذلك اليهود وجانب من الجيش؛ وقسم يؤيد إيوارجتيس الثانى ويتألف من بقية الجيش وكثير من المصريين بزعامة الكهنة، ونشبت فى البلاد حرب أهلية بين الفريقين، كانت عبارة عن مزيج من النزاع الأسرى والثورة القومية وتقطعت فيها أوصال البلاد. ونحن نستدل على ذلك من وثيقة بردية ترجع إلى السنة الأربعين من حكم إيوارجتيس الثانى[٤]. وقد مرت بمصر منذ ذلك الوقت فترة من الزمن أطلق عليها فى الوثائق البردية كلمة «ἀμιξια»[٥] ومعناها عدم اختلاط، وهى كلمة تختلف فى مدلولها عنّ كلمة «Ταραχη» التى كانت تطلق على الثورات السابقة فى عهد فيلوميتور[٦] والتى تعنى مجرد اضطرابات أو قلاقل ينقصها الانقسام الذى يفهم من كلمة «ἀμιξια».

(١) Livy, Epit. lix; Justin, loc. cit.
(٢) U. Wilcken, Actenstücke, No. II.
(٣) M. Rostovtzeff, op. cit. pp. 872 ff.
(٤) Tebt. Pap. N° 72, ll. 45 — 46.
(٥) Ibid. No. 610 ll. 30 — 31; No. 72, l. 45; Louvre Pap. No.10594 = U. Wilcken, Chrestomathie No.10.
(٦) Amherst Pap. No.39 = Chrestomathie No.9.

وتعترضنا هنا مسألة على جانب كبير من الأهمية : فكيف انحاز المصريون بزعامة الكهنة إلى الفريق الذى كان يناصر إيوارجتيس الثانى كما يقول روستفتزف ؟ وكيف توصف حال البلاد — برغم ذلك — بأنها كانت مزيجاً من الحرب الأهلية والثورة القومية كما يقول روستفتزف أيضاً ؟ إننا نرى فى ذلك شيئاً من التناقض ، لأن قيام المصريين بثورة قومية لا يمكن أن يتفق بحال مع انحيازهم إلى معسكر الملك إيوارجتيس الثانى . وواقع الأمر كما يقول نصحى[1] أن كليوبترة الثانية كان لها حزب يضم الناقمين على إيوارجتيس الثانى ويشمل الجانب الأكبر من إغريق مصر والمتأغرقين وسائر خصوم كهنة آمون ، ولذلك أصبح الموقف الطبيعى لغالبية المصريين القوميين هو مناهضة هذا الحزب ، فبدوا كأنهم يناصرون الملك الهارب ، والحق أنهم كانوا يناهضون الحكم البطلمى عامة .

وإذا كانت الثورة فى مصر السفلى والوسطى قد اتخذت صوراً من التوقف عن العمل والاعتصام فى المعابد وهجرة المزارع والمصانع ، فإنها كانت قتالا سافراً بين مدن مصر العليا وقراها المنتمية إلى المعسكرين المتخاصمين حيث تجلت روح المقاومة العنيفة ضد الملكية المركزية . وتدلنا الوثائق على أن الكتاب فى « ديوسپوليس » و « پاثيريس » كانوا يؤرخون وثائقهم بالنسبة إلى حكم إيوارجتيس الثانى ، بينما نجد العكس فى مدينة « هرمونثيس[2] » . وكانت نتيجة ذلك أن أرسلت حملة عسكرية من « ديوسپوليس » — طيبة — إلى هرمونثيس لإخضاعها وإدخالها فى طاعة الملك[3] . وكان غياب الحامية الملكية عن طيبة سبباً فى إشعال نيران الثورة بها[4]. وإن ذلك ليدل على صحة ما نذهب إليه من أن عامة المصريين لم يكونوا مخلصين فى انضمامهم إلى معسكر

---

(١) ابراهيم نصحي ، الكتاب السابق ، ص ٧٨٥

(٢) C. Preaux, Chr. d, Egypte, op. cit. pp. 543—545.

(٣) عرفنا أنباء هذه الحملة من خطاب بعث به جندى اغريقى الي والديه ، والخطاب مؤرخ فى شهر يناير عام ١٣٠ ق . م . (Cf. Chrsetomathie No.10)

(٤) B. - Leclercq, op. cit. p 74; M. Strack, op. cit. pp. 45-46.

إيوارجتيس الثانى كما يدعى روستفتزف ، وإلا لبقيت طيبة على ولائها الملك ، ولما حملت ضده لواء الثورة بمجرد أن غادرتها الحامية العسكرية الملكية .

وظل إيوارجتيس الثانى مقيما فى قبرص طيلة عامين ، ثم استطاع أن يعود إلى مصر فى ربيع عام ١٢٩ ق . م(١) . ويحدثنا ديودوروس(٢) ، بأن ذلك قد حدث على أثر النصر العسكرى الذى فاز به « هيجولوخوس » قائد إيوارجتيس الثانى على « مارسياس » قائد كليوبترة الثانية . ولم يؤد انتصار بطلميوس على أخته إلى إحلال الهدوء فى البلاد . واضطرت كليوبترة — برغم الميول الطيبة التى أبداها أخوها — إلى مغادرة مصر والإلتجاء إلى زوج ابنتها ديمتريوس الثانى ملك سوريا(٣) . وقد أعد هذا جيشاً ومضى به نحو مصر ليعيد والدة زوجته إلى عرشها فى الاسكندرية ، ولكنه هزم هزيمة منكرة . عند ذاك يئست كليوبترة الثانية من الاستمرار فى النضال وبدأت تفكر فى الصلح مع أخيها الذى كان على استعداد — من ناحيته — لقبول هذا الصلح بعد ما تبينت له مكانة أخته فى كثير من أنحاء البلاد . وهكذا عادت كليوبترة الثانية إلى مصر شريكة لأخيها وابنتها فى الحكم ، وكان ذلك عام ١٢٤ ق . م(٤) .

ولقد كان منتظراً — لو صح رأى روستفتزف المشار إليه — أن تهدأ البلاد بعد مصالحة إيوارجتيس الثانى لأخته كليوبترة الثانية ، ولكن المصريين كانوا ساخطين ناقمين — لا من أجل الملك بطلميوس ، وإنما من أجل قوميتهم التى سعى البطالمة للقضاء عليها ، ولهذا ظلت ثورتهم مشتعلة عنيفة ولا سيما فى الجنوب ، وزادت من حدتها تلك الفوضى التى شاعت فى شئون البلاد

---

(١) B. - Leclercq, op. cit. P. 75; H.N.E. III, P. 167; M Rostovtzeff, op. cit. P. 874.

(٢) Diod. XXXIV—XXXV, 20 ، ويذهب روستفتزف (loc. cit) الى أن ايوار جتيس الثاني لم يستطع أن يخضع الاسكندرية الا عام ١٢٧ ق .م. ويؤيده فى ذلك نصحى (مصر فى عصر البطالمة جـ ١ ، ص ١١٠) ولكننا ناقشنا هذا الرأي وأثبتنا عدم اتفاقه مع الواقع (محمد عواد حسين — الرسالة السابقة ص ٧٥ — ٧٦ .)

(٣) Justin, XXXVIII, 9.

(٤) M. Rostovtzeff, loc. cit.

بسبب حالة الذعر التى تمخض عنها العداء المسلح بين حزبى الملك والملكة . وإن الوثائق البردية — برغم ندرتها — لتنهض دليلا ناطقاً على الثورات فى مصر العليا عقب صلح عام ١٢٤ ق . م : ففى سنة ١٢٣ ق. م. نجد وثيقة بردية لاتحمل اسم كليوبترة الثانية فى ديباجتها (١) ، كما نجد مدينة « هرمونثيس » تشن حربا منظمة ضد جارتها « كروكوديلوبوليس »(٢) ، وجدير بالذكر أن جند المدينة المعتدية كانوا (λαοί) أو من يسمون أحياناً (πλήθη) ، وهو الاسم الذى كان يطلق على طبقة العامة من المصريين الوطنيين(٣) . وفى عام ١٢٢ — ١٢١ ق . م . عمت الفوضى أنحاء مدينة طيبة حتى وصفتها الوثائق بكلمة (ἀμιξία)(٤) . ولدينا وثيقة تحدثنا عن هجوم قام به سكان هذه المدينة على إحدى التحصينات الحكومية التى أقيمت بها قمعاً للثورات(٥) . وامتد لهيب الثورة من طيبة إلى بانوبوليس ، ويبدو أنها كانت من الخطورة بمكان عظيم ، وأن الآثار التى ترتبت عليها كانت من الفداحة بحيث حرم إيوارجتيس الثانى أهل هذه المدينة من قرار العفو الكبير الذى أصدره عام ١١٨ ق.م(٦) .

لقد كانت أحوال البلاد إذاً بالغة السوء ، دب الفساد فى كل مكان ، وشاعت الفوضى فى كل شيء ، وأحس إيوارجتيس أن صلحه مع أخته لم يقض على هذه المساوىء ، وأن القوة وحدها لن تجدى ، وأدرك أنه لا بد من إصلاح شامل يضع حداً لهذه الاضطرابات والقلاقل ، فأصدر باسمه واسم زوجتيه وثيقة عفو كبرى فى عام ١١٨ ق . م (٧) . ولم يصدر إيوارجتيس

---

(١) Pap. Lond. III, No. 6.

(٢) Grenfell, Arch. für Pap. I. 1901, pp, 57 ff.; U. Wilcken, Chrestomathie No. XI = Cairo Pap. 10371 . & 10531

(٣) M. Rostovtzeff, op. cit. P. 874.

(٤) P.S.I. 171.

(٥) M. Rostovtzeff, loc. cit.

(٦) Tebt. Pap. 5, b., 143., ll. 147 ff., Diod. XXXI,17b.

(٧) Tebt. Pap. 5.
حررت الصورة التي وصلتنا من هذا القرار في ديوان كاتب قرية « كركيوزوريس » ويعتقد روستوفتزف أنها ليست القرار الأصلى ، وانما هي نسخة غير كاملة منه ، أو لعلها موجزاً له ، وهي على كل حال بالية مشوهة ، وقع كاتبها فى عدة أخطاء جسيمة ، وبعض فقراتها يعتوره الغموض والابهام ، مما يجعل تفسير هذه الفقرات أمراً غير ميسور
(Cf. M. Rostovtzeff, op. cit. P. 878.)

الثانى هذا القرار ، والقرارات السابقة التى أشرنا إليها فحسب ، إذ أننا نجد فى برديات تبتونيس وثيقة تتضمن بعض قرارات العفو المشابهة لما جاء فى وثيقة عام ١١٨ ق . م ، والمرجح أنها ظهرت فى نفس ذلك العام (١) ؛ وهى تتضمن أساسياً بعض امتيازات خاصة منحها الملك لطبقة الجند المقطعين (٢) . وهناك أيضاً فى قضية هرمياس المشهورة ، ما يدل على صدور قرار عفو آخر — فى عهد إيوارجتيس الثانى — وذلك بعد خمسة أشهر من تاريخ وثيقة عام ١١٨ ق . م . (٣) مما يحمل على الظن بأن هذا القرار المتأخر كان بمثابة ملحق لقرار عام ١١٨ ق . م . ، أريد به إطالة المدة التى ينصب عليها العفو الملكى خمسة أشهر أخرى (٤).

* * *

وثيقة عام ١١٨ ق. م. ومدلولها

ونعود إلى قرار عفو عام ١١٨ ق . م . « Φιλάνθρωπα » فنقول إنه كان يشتمل على عشرة أعمدة تتضمن ما لا يقل عن ستة وأربعين أمراً مختلفاً . وتبدأ الوثيقة — كما هى العادة فى جميع قرارات العفو — بدعوة عامة إلى السلم يتوجه بها الملك وشريكتاه فى الحكم ، إلى كافة طبقات الشعب فى صيغة عفو عام (ἀφιασι) موجه لجميع أفراد الرعية عن الجرائم والاتهامات والأحكام ، وما شاكل ذلك ، حتى تاريخ معين محدود . وقد تناولت فقرات الوثيقة شتى الموضوعات : فهى تحتوى على أمور متعلقة بالنظم القضائية (٥) ، وأخرى بالعفو عمن خالفوا أوامر الحكومة فامتنعوا عن أداء نصيبهم فى أعمال السخرة (٦) . كما تشتمل إلى جانب ذلك على أوامر بالمنح وأخرى

---

(١) Tebt. Pap. No. 124.

(٢) Ibid., ll. 25 — 27, & l. 30.

(٣) Tebt. Pap. Vol. I, p. 18.

(٤) Ibid. p. 19.

(٥) Ibid. No.5, ll. 207 — 220.

(٦) Ibid. ll. 198 — 199.

بالتحريم : الأولى موجهة — عادة — إلى أفراد الرعية ، والثانية إلى موظفى الملك .

ونرى الملك يدعو الهاربين إلى العودة إلى أماكن إقامتهم (ἴδια) كى يستأنفوا أعمالهم من جديد ، ويستردوا ما لم تضع الحكومة يدها عليه من أملاكهم (١) ؛ ثم هو يتبع ذلك بالتنازل لجميع السكان عن متأخرات الضرائب العينية والمالية (٢) .

ونحن نلاحظ أن فقرات الوثيقة المتعلقة بالطبقات الممتازة من سكان البلاد الوطنيين ، والأجانب غير المشتغلين بالحرف اليدوية ، كانت تنطوى على توكيد حقوقها ، وذلك على الأرجح أملا فى إعادة النظام والقضاء على الفوضى التى نتجت عن قيام حكومتين متخاصمتين فى البلاد ، كانت كل حكومة منهما تغدق بعض الامتيازات على هذه الطبقات طمعاً فى استمالتها . أما القسم الخاص بطبقات العمال ، فنرى الملك يحاول فيه تخفيف الأعباء عن أصحاب الحرف اليدوية والزراع ومن إليهم ، ويعمل جاهداً لحمايتهم من عسف الموظفين وظلمهم ، ولا شك فى أن ذلك كان استجابة لسيل من الشكاوى انهمر من هؤلاء التاعسين على الملك . وهكذا يعرض علينا ذلك القسم من الوثيقة صورة قاتمة نلمس فيها الظلم الصارخ الذى وقع على كاهل العمال (٣) .

وإن أثر الحرب الأهلية ليبدو واضحاً جلياً فى هذه الوثيقة : فلقد هجر كثير من الزراع أراضيهم وعاشوا عيشة قطاع الطرق وامتنعوا عن سداد ما عليهم من الضرائب والإيجارات (٤) . بل لقد بلغ الاستهتار بالسلطة الحاكمة حد الاعتداء على أراضى التاج واغتصابها (٥) وانتشرت أعمال العنف كالتخريب والاحراق حتى تهدم الكثير من المنازل والمعابد (٦) .

---

(١) Ibid. ll. 1 — 9.

(٢) Ibid. ll. 10 — 13.

(٣) M. Rostovtzeff, op. cit. p. 880.

(٤) Tebt. Pap. 5, ll. 5 — 24.

(٥) Ibid. ll. 36 — 43.

(٦) Ibid. ll. 134 — 138.; — 147—154.

وماذا كان موقف الملك من شعبه الذى ارتكب أفراده كل هذه الجرائم والمخالفات ؟ الواقع أن الملك لمس مصدر الداء وأدرك أنه كان وليد قوة باطشة مسلطة على الشعب ، وهى الموظفين الظالمين ، ولهذا لم يعاقب أحداً ، واضطر إلى العفو عن مرتكبي الجرائم التى سردناها . وإذا كان الملك قد اتبع من جانبه سبيل الصفح ، فإن عامة الشعب كانوا لا يشكون فى إخلاصه وصدق نيته ، إذ عرفوا أن عدوهم الألد كان أولئك الموظفين الذين ضيقوا عليهم الخناق حتى سلبوهم مادة حياتهم .

وقد سردت لنا الوثيقة بعض مساوىء الموظفين ، فإذا بنا نراهم قوماً لايعرفون حدود سلطانهم ، يسعون جهدهم لملء بطونهم على حساب شعب جائع : كانوا يستولون دون حق على السلع الواردة من الخارج إلى الاسكندرية ، ولهذا أمر الملك بألا يستولى موظفو الجمارك إلا على السلع التى لم تدفع عنها المكوس المقررة ، والتى حرم دخولها إلى البلاد (١) . وكانوا يفرضون على المسافرين — سواء بالطرق البرية أو المائية — ضرائب غير شرعية (٢) . ويبدو أنهم لم يكترثوا بحرمة الآلهة ومركز رجال الدين ، إذ كانوا يعتدون على المكلفين من قبل الكهنة بجباية موارد الأراضى المقدسة ، بل ويغتصبون أجزاءً من هذه الأراضى ، ويفرضون على بعضها ضرائب سبق إعفاؤها منها (٣) . وكانوا يستخدمون مكاييل زائفة عند استلام الضرائب العينية من الفلاحين كى يحصلوا على أكثر من المقررات القانونية (٤) ، كما كانوا يجبون من هؤلاء البائسين ضرائب غير شرعية لم تفرضها الحكومة (٥) . وكانوا يختصون أنفسهم بأجود الأراضى الملكية (٦) ، ويكلفون مزارعى الملك بأعمال خاصة لاتدخل فى نطاق تكليفهم القانونى . ويستغلون ماشية هؤلاء المزارعين

(١) Ibid. II. 22 — 27.
(٢) Ibid. II. 28 — 32.
(٣) Ibib. II. 54 — 72.
(٤) Ibid. II. 85 — 92.
(٥) Ibid. II. 138 — 145 = 155 — 161.
(٦) Ibid. II. 144 — 146 = 162 — 167.

لمصلحتهم الخاصة ، وعلى هذا النحو أيضاً كانوا يتصرفون مع صناع المواد المحتكرة[1] . ولم يقف بغيهم عند هذا الحد ، وإنما افتاتوا على حقوق الخزانة الملكية ، فاستبقوا لأنفسهم المبالغ التى كانت تجمع لحسابها[2] . وأدهى من ذلك كله تدخلهم فى الشئون القضائية ، إذ منحوا أنفسهم سلطة الفصل فى الشكاوى وتوقيع عقوبة السجن على من يريدون سجنه [3] .

تلك هى الصورة التى تعرضها علينا وثيقة عام ١١٨ ق . م . عن موظفى الملك ، وإنها لغنية بذاتها عن كل تعليق ، فهى تدل على ضعف الملك وتضاؤل نفوذه بشكل لم يسبق له مثيل . أفهل نلقى تبعة ذلك على طبيعة النظام الإدارى أم على الملك نفسه ؟ الواقع أن النظام الإدارى على عهد إيوارجتيس الثانى لم يكن يختلف كثيراً عنه على عهود أسلافه الأوائل أمثال فيلادلفوس وإيوارجتيس الأول ، ومع ذلك لم نسمع عن مثل هذه الفوضى الشاملة ، وإذاً فنحن لانستطيع أن نعفى الملك من المسئولية ، فإن هذا الانحلال الذى أصاب السلطة المركزية من جراء النزاع الأسرى على العرش قد هيأ للموظفين فرصة الاستحواذ على النفوذ واضطهاد الناس ، والعمل على ما فيه مصلحتهم فحسب . وترى « پريو »[4] ، أن هذه الظاهرة كانت تلازم الملكية المصرية فى عهود ضعفها ، إذ كان السلطان ينتقل إلى أيدى الموظفين فيقتسمونه فيما بينهم ، ويسومون أفراد الشعب الخسف وسوء العذاب .

ولم يكن الموظفون وحدهم هم الذين اعتدوا على سلطان الملك ، وإنما كانت هناك قوة أخرى تتمثل فى المعابد ورجال الدين الذين سعوا دائماً للتحرر من ربقة النفوذ الملكى . ولما لم يكن فى وسع الملك مقاومة هذه القوة نظراً للمكانة السامية الرفيعة التى تحتلها فى نفوس الناس ، فقد رأى الحكمة

---

(١) Ibid. ll. 176 — 187 = 248 — 254.

(٢) Ibid. ll. 188 — 192.

(٣) Ibid. ll. 235 — 254.

(٤) C. Preaux, op. cit. p. 546.

فى مواراتهـا وسط الأخطار التى كانت تـكـتنفه من كل ناحية(١) . ولهذا تحدثنا الوثيقة بأنه أجزل العطايا لرجال الدين ، وأيد الحقوق والمنح التى سبق إغداقها على المعابد ، وأهمها حق إدارة الأراضى المقدسة وعدم الإعتداء على رجالها وإعفاؤها من بعض الضرائب ، وتمتعها بحق حماية اللاجئين (٢) . ويرى روستفتزف(٣) أن الـكهنة كانوا ــ بوجه عام ــ موالين للبطالمة ، وأن القول بتزعم الـكهنة للثورات المصرية وتدبيرها ، رأى ينطوى على كثير من الإسراف والمبالغة ، كما يرى أن المعابد لم تـكن ــ بوجه عام أيضاً ــ معاقل المقاومة الوطنية لحـكم البطالمة ، وإلا لمـا بقيت معابد كثيرة موالية للبطالمة خلال غزوة انتيوخوس الرابع وثورة ديونيسيوس پيتوسراپيس . والحق أن روستفتزف يشتط فى الحـكم على موقف الـكهنة والمعابد من البطالمة ، إذ الواقع ــ كما يقول نصحى (٤) ــ . أن بعض الـكهنة ، ولا سيما فى الوجه البحرى ، كانوا موالين للبطالمة . بينما ناصبهم كهنة الوجه القبلى العداء ، ولعل السبب فى ذلك هو التنافس الشديد بين كهنة الوجهين ، ذلك التنافس الذى يرجع إلى ما قبل عصر البطالمة .

وتوضح لنا الوثيقة إلى جانب ذلك كله مقدار اهتمام الملك بتأمين موارده وحماية الذين يقومون على خدمة هذه الموارد من الزراع والصناع ، فهو يحظر سجنهم أو بيع ماشيتهم أو أدواتهم وفاءً لمـا قد يـكون عليهم من ديون (٥) . وهو يعفيهم هم والإغريق الذين يخدمون فى الجيش ، وكذلك الـكهنة ، من إسكان الجنود فى منازلهم مادام الواحد منهم لا يمتلك إلا منزلا واحداً فقط(٦).

(١) Ibid. p. 547.

(٢) Tebt. Pap. 5, ll. 54 – 84.

(٣) M. Rostovtzeff, op. cit. p. 887.

(٤) ابراهيم نصحى ، الـكتاب السابق ، ج ٢ ، ص ٧٩٠ — ٧٩١

(٥) Tebt. Pap. 5, ll. 221 – 247

(٦) Ibid. ll. 168 – 177.

وهو يمنح الذين ابتاعوا من التاج منازل أو حدائق أو سفنا ، حق امتلاك هذه الأشياء دون أن ينازعهم فيها منازع(١) .

تلك صورة موجزة لأهم محتويات قرار العفو الكبير الذى أصدره إيوارجتيس الثانى وشريكتاه عام ١١٨ ق . م . ، وإنها لتفيض بالمساوىء الشديدة التى عمت أنحاء البلاد ، وبالأخطار الجسيمة التى كانت تهددها من جراء الثورات المتكررة ، كما أنها تبرز المحاولة التى بذلها الملك لإنقاذ الموقف ؛ فهل أدى القرار إلى الغرض المرجو منه ؟ الواقع أن علة الثورات والقلاقل بقيت قائمة على حالها ، لم يحاول الملك أن يستأصل الداء من أساسه ، وإنما حاول إزالة أعراض هذا الداء ، ولهذا بقيت الثورات مشتعلة . وإذا كان البطالمة المتأخرون قد قبضوا أيديهم بعض القبض عن الأجانب ، وبسطوها بعض البسط للمصريين ، إلا أن هذا لم يغير من واقع الأمر شيئاً ، فقد ظل النظام الاقتصادى الجائر — وهو أساس كل بلاء — يرهق المصريين إرهاقاً شديداً ، وظل الإغريق والمقدونيين يتمتعون بامتيازات كثيرة : يشغلون أرفع المناصب ويشاركون الملك سيطرته على البلاد ، ويتمتعون بالضياع الواسعة والاقطاعات العسكرية الكبيرة . ولهذا بقيت نفوس المصريين تشتعل بنيران الحقد والكراهية ، وظلت قلوبهم تنبض بفخارها الوطنى ، واستمروا يتطلعون إلى اليوم الذى يتخلصون فيه من الحكم البطلمى البغيض .

* * *

النزاع الأسرى بعد إيوارجتيس الثانى

وقبل أن يتوفى إيوارجتيس الثانى عام ١١٦ ق . م .(٢)، مهد السبيل لإثارة القلاقل والاضطرابات من جديد ، إذ أوصى بمملكته لزوجته الصغيرة كليوبترة الثالثة تاركا لها مطلق الحرية فى اختيار من تصطفى من

(١) Ibid. II. 99 – 101.

(٢) هناك اجماع على أن كليوبترة الثانية لم تكن على قيد الحياة بعد عام ١١٦ ق.م. (Cf. Rostovtzeff. op. cit. p. 875).

ولديها شريكا لهافى الملك ، وهما بطلميوس فيلوميتور سوتر الثانى (الابن الأكبر) وبطلميوس الاسكندر (الابن الأصغر) [١] ؛ وكانت كليوبتره تفضل ابنها الاسكندر ، ولكن أهل الاسكندرية كانوا يبغضونه فأرغموها على اختيار ابنها الأكبر سوتر الثانى ، فقبلت مكرهة [٢] ، حتى أفلحت فى طرده عام ١٠٧ ق . م . ، وأشركت معها ابنها المحبوب بطلميوس الاسكندر [٣] ، ولكنها سرعان ما انقلبت عليه ، وحاولت التخلص منه ، فأسرع هو بقتلها عام ١٠١ ق . م . [٤] ، وانفرد بالحكم حتى طرده الاسكندريون عام ٨٩ ق . م . [٥] ؛ وعند ذاك استرد سوتر الثانى عرش مصر وظل يحكم البلاد حتى توفى عام ٨٠ ق . م . [٦] ، ثم تربع على العرش — وذلك بعد مأساة برينيكى الثالثة وبطلميوس العاشر [٧] — أحد أبناء سوتر الثانى غير الشرعيين ، وهو بطلميوس الزمار الذى حكم مصر حتى عام ٥١ ق . م . وقد كان هذا الملك أداة طيعة فى أيدى الساسة الرومانيين ، فحنق عليه الشعب واضطر للفرار من البلاد عام ٥٨ ق . م . [٨] ولم يستطع العودة إلا فى عام ٥٥ ق . م . بمساعدة جابينيوس حاكم سوريا الرومانى [٩] . ثم اعتلى العرش — طبقاً لوصية بطلميوس

---

(١) Justin, XXXIX, 3,1; 5,2.

(٢) B.- Leclercq, Hist. Lag. II, pp. 89 — 91 ; E. Bevan, op. cit. pp. 326 — 7; H. N. E. III, pp. 160 — 161; C.A.H. IX, p. 386.

(٣) B.- Leclercq, op. cit. pp. 93 — 95; H.N.E. III, pp. 161 — 162, M. Rostovtzeff, op. cit. p. 875

(٤) Justin, XXXIX, 4, 5; Pausanias, I, 9,3; Athenaeus, XII, 550 a.

(٥) يري روستفتزف (S.E.H . Vol. II, p. 876) أن بطلميوس الاسكندر توفي حينذاك وهو يحاول الوصول الي قبرص ، ويشاركه هذا الرأي جوجيه (H.N.E. III, p. 164) وكذلك بفان (op. cit. pp 332 — 4) ولكن بعض المؤرخين يرون أنه عاد فاسترد مصر مرة أخري عام ٨٨ ق . م . (C. A. H IX,p. 387) و (B.- Leclercq, II, pp. 109 — 110) .

(٦) Pausanias, I, 9, 3; B. - Leclercq, Hist. Lag. II, pp. 110—115.

(٧) ابراهيم نصحي ، الكتاب السابق ، ج ١ ، ص ١١٨

(٨) Dio Cassius, XXXIX, 12.

(٩) C.A.H. IX, p. 604; Hist. Lag. II pp. 162 — 163.

الزمار — بطلميوس الثانى عشر وأخته كليوبترة السابعة ، وشهدت مصر فترة من الانتعاش تشبه صحوة الموت ، ثم ضمتها روما إلى امبراطوريتها عام ٣٠ق.م.

* * *

لم تنته المساوىء التى طغت على كل شىء فى البلاد خلال عهد إيوارجتيس الثانى بانتهاء هذا العهد ، وإنما استمرت على أيام خلفائه . وما انقضى عامان على وفاة هذا الملك واعتلاء زوجته وابنه العرش ، حتى ثارت إحدى قرى الفيوم ضد موظفى الملك عندما اشتد بطشهم بالأهالى ، ولم يلقوا بالا إلى الأوامر التى تضمنتها وثيقة عام ١١٨ ق . م . (١) ولدينا وثيقة بردية ترجع إلى عام ١١١ ق . م . ، وهى عبارة عن مظلمة من أهالى منطقة طيبة ، وتدل على وقوع قلاقل واضطرابات (ἀμιξία) آنذاك بهذه المنطقة (٢) ، وقد كانت هذه الاضطرابات شبيهة بتلك التى وقعت عام ١٣٢ — ١٣١ ق . م . وتحدثنا عنها ، فكان الناس ينتهزون فرصة الفوضى ويعتدون على أملاك غيرهم .

* * *

الثورة السادسة وتخريب طيبة

وقد حدثنا باوزانياس (٣) عن الثورة التى قضى عليها سوتر الثانى فى الفترة الثانية من حكمه فقال إن هذا الملك — بعد أن استرد عرشه ثانية — حارب أهل طيبة الثائرين ، وأخضعهم بعد ثلاث سنوات من بدء الثورة ؛ وكان انتصاره باهراً بحيث قضى على كل ما تبقى لأهل طيبة من مجد ورفاهية . ولم تختلف هذه الثورة عن سابقاتها ، فكانت ، كما يقول روستفتزف (٤) ، مزيجاً من السخط الذى تموج به نفوس الطبقات الدنيا ، ومن التعصب الدينى والآمال القومية .

ونحن لا نعرف — على وجه الدقة — متى بدأت هذه الثورة ومتى

(١) Tebt. Pap. No. 15.
(٢) Lond. Pap. II, 401, 20.
(٣) Pausanias, I, 9,3.
(٤) M. Rostovtzeff, S.E H. Vol. II, p. 877.

انتهت بتخريب طيبة معقلها الأكبر : فلدينا وثيقة ديموطيقية من عام ٩٠ ق . م .[١] (وهو العام السابق لخروج بطلميوس الاسكندر من الاسكندرية) تحدثنا عن اعتداء الثوار على الأراضى الملكية فى مدينتى «لاتوپوليس» و « پاثيريس » ؛ ولدينا أيضاً عدة رسائل[٢] كتبها شخص يدعى أفلاطون كان يشغل منصب الحاكم العام فى منطقة طيبة ، وترجع هذه الرسائل جميعاً إلى عام ٢٨ ق . م (وهو العام الثانى لاسترداد سوتر الثانى عرش مصر) .

وتدل الوثيقة الديموطيقية على أن الثورة كانت مشتعلة قبل أن يسترد سوتر الثانى عرش مصر بعام واحد . كما تدل مجموعة الرسائل على أن الطيبيين كانوا منقسمين على أنفسهم فانضم بعضهم إلى معسكر الملك بينما ثار البعض الآخر عليه . وقد عرفنا ذلك من أن الرسالة الأولى التى حررها أفلاطون فى الثامن والعشرين من شهر مارس عام ٨٨ ق . م .[٣] كانت موجهة إلى أهالى مدينة « پاثيريس » الموالين للملك والمهددين بأخطار الثورة ، يبلغهم فيها بأنه قادم من « لاتوپوليس » للقبض على ناصية الأمور ، ويدعوهم للتذرع بالهدوء ومساعدة قائدهم « نخثيريس » حتى يصل هو إليهم . أما الثانية[٤] فقد حررها إلى القائد المذكور فى نفس اليوم ، وكانت تتضمن خلاصة الرسالة الأولى الموجهة إلى أهالى « پاثيريس » . وكانت الرسالة الثالثة محررة فى اليوم الثلاثين من شهر مارس عام ٨٨ ق . م .[٥] وموجهة أيضاً إلى نفس القائد ، تدعوه إلى توفير المئونة اللازمة من القمح والخبز والشعير لأهالى « پاثيريس » وأما الرسالة الرابعة فكانت محررة فى اليوم الأول من شهر نوفمبر عام ٨٨ ق . م .[٦] وموجهة من إفلاطون إلى كهنة « پاثيريس » وغيرهم

(١) Dem. Pap. Berlin, 13608.

(٢) P. London, 465, Grenfell, A New Papyrus concerning ths Revolt of the Thebaid in 88 B. C., Rev. Et. Gr. 32, pp. 251 — 5; P. Bouriant, 10; P. Bouriant, XI; P. Bouriant, XII.

(٣) P. Lond. 465.

(٤) P. Bouriant, X.

(٥) Ibid. XI.

(٦) Ibid. XII = Chrestomathie 12.

يشجعهم فيها على الصمود لحصار الثوار ، ويبلغهم أن سوتر الثانى قد وصل إلى منف وعهد إلى القائد « هيراكس » بإخضاع منطقة طيبة .

إن هذا الخطاب الأخير ليدل دلالة واضحة على أن كهنة باثيريس كانوا موالين الملك ، وأنهم كانوا يتزعمون حركة المقاومة ضد ثوار طيبة الوطنيين ؛ ونحن لا نظن أن كهنة باثيريس كانوا مخلصين فى ولائهم الملك البطلمى ، ولا نشك فى أن موقفهم هذا — وهم كهنة هاتور — إنما دفعهم إليه عداؤهم الوراثى الشديد لكهنة آمون فى طيبة[1]. ومعنى ذلك أن الخلافات الشخصية بين رجال الدين المصريين كانت ذات أثر كبير فى تحديد موقفهم من البطالمة . ومهما يكن من أمر ، فقد كان كهنة آمون يضمرون أشد العداء للبطالمة ؛ وترى « كلير بريو[2] » أن سبب عدائهم هذا لم يكن كرههم للأجانب ، وإنما رغبتهم فى استعادة استقلالهم القديم ، وهى الرغبة التى كانت تدفعهم إلى مناهضة كل ملكية قوية منذ العهد الفرعونى . ونحن لا نشك فى أن كهنة آمون كانوا يتوقون لاستعادة استقلالهم القديم ، ولكننا لا نشك أيضاً فى أنهم كانوا يضمرون للأجانب أشد الكره والبغض لكثرة مالاقوه على أيديهم من عسف وامتهان . ولم يكن ثوار طيبة مدفوعين إلى ثورتهم بتحريض من كهنة آمون فحسب ، أى أنهم لم يكونوا أدوات استغلها هؤلاء الكهنة لتحقيق مآربهم ، وإلا لما استمرت الثورات مشتعلة بعد كسر شوكة هؤلاء الكهنة وتخريب طيبة . على أن ضعف هذه الثورات الأخيرة يدل — دون ريب — على الدور الهام الذى قام به كهنة آمون فى حركات المقاومة الوطنية السابقة[3] .

وإذا كانت وثيقة عام ٩٠ ق. م. الديموطيقية — التى تحدثنا عنها — تشير إلى بدء الثورة ، فلابد أن حملة « هيراكس » التى أشار إليها إفلاطون فى رسالته الرابعة إلى كهنة باثيريس ، هى التى قضت على هذه الثورة فى آخر عام ٨٨ ق.م. وبذلك تكون الأعوام الثلاثة التى ذكر باوزانياس أنها انقضت قبل أن يستطيع

---

(١) P. Jouguet, B.C.H., XXI, 1897, p. 147.

(٢) C, Preaux, op. cit. p. 550.

(٣) ابراهيم نصحي ، الكتاب السابق ، ج ٢ ، ص ٧٩٤ .

الملك إخماد الثورة — قد انتهت فى نهاية سنة ٨٨ ق.م. — أما إذا كانت رسائل إفلاطون هى التى تشير إلى بدء الثورة ، فإن ذلك يعنى أنها لم تنته عام ٨٨ ق.م. ، بل انتهت عام ٨٥ ق.م. ، وأن حصار الثوار لمدينة پاثيريس كان من أحداثها الأولى .

* * *

استمرار القلاقل والاضطرابات

كانت هذه الثورة التى تحدثنا عنها آخر حركات المقاومة الوطنية الكبرى التى قام بها المصريون ، وكان تخريب مدينة طيبة — معقل الثورة والثوار فى الجنوب — ذا أثر بالغ على هذه الحركات ، فلم تحدث بعد ذلك سوى قلاقل واضطرابات تافهة ، كالتوقف عن العمل ، وهجرة المزارع والمصانع ، والقيام بأعمال السطو والسلب والنهب .

ولدينا نقش من هرموپوليس يرجع إلى عام ٧٩ — ٧٨ ق.م. (٢) ، وكذلك عدة أوراق بردية من إقليم هيراكليوپوليس ترجع إلى عام ٦٤ — ٦٣ ق.م (٣) وكلها تحدثنا عن التجاء الحكومة إلى توزيع فرق من الجند فى شتى أنحاء البلاد ، لوضع الأمور فى نصابها ، وعن تكليف وحدات من الأسطول بتأمين سلامة المواصلات النهرية .

وفى عام ٥٨ ق.م. — عندما اضطر بطلميوس الزمار للفرار من الإسكندرية واستؤنف النزاع الأسرى من جديد — ظهر مصرى يدعى « هرمايسكوس » Hermaiscos ، قام بدور هام فى الاضطرابات والقلاقل التى عمت حينذاك بمنطقة هيراكليوپوليس ؛ فقد ورد ذكر هذا الرجل وعصابته فى تقرير رسمى عن الأعمال التى كان يرتكبها أفراد هذه العصابة ضد الأهالى الذين هددوا بالانقطاع عن العمل إن لم تعمل الحكومة على ما يكفل حمايتهم (٤).

---

(١) ابراهيم نصحي ، المكان السابق .

(٢) Cf. Aegyptus, XVIII, 1938, pp. 279 ff.

(٣) B.G.U. VIII, 1747 — 1750.

(٤) Ibid. 1762.

وازداد الحال سوءاً بعودة الزمار إلى عرشه ، إذ أنه نصب دائنه الرومانى « جايوس دابيريوس » وزيراً للمالية عام ٥٥ ق.م.[١] . ولنا بعد ذلك أن نتصور مدى ماقام به هذا الأجنبى الجشع من ضروب العسف والإرهاق والبطش بالأهالى ليجمع ديونه على الملك . وكان طبيعياً أن يمعن الموظفون فى عبثهم وقسوتهم وهم عملاء هذا الدائن الأجنبى ، فكانوا يقبضون على الأهالى ويسومونهم سوء العذاب ثم يقذفون بهم إلى السجون برغم براءتهم[٢] .

ومضت البلاد من فساد إلى فساد ، وعاود العمال والزراع والصناع فرارهم من أعمالهم وأراضيهم والتجاءهم إلى المعابد ، فازداد إقفار الأراضى الزراعية وتعطلت الصناعات ، ونقصت تبعاً لذلك موارد الخزانة الملكية ، حتى لقد أصدرت كليوبترة السابعة وأخوها بطليموس الثانى عشر قراراً[٣] يحظران فيه القبض على المدنيين ، ويأمران باحترام ما أصدراه من خطابات الأمان طوال موسم الزراعة على الأقل .

* * *

فشل الثورات المصرية وأثرها

وبعد ــ فتلك هى حركات المقاومة الوطنية التى قام بها المصريون على عصر البطالمة ، ونحن لا نشك لحظة فى أنها كانت ذات طابع قومى إلى جانب دوافعها الاقتصادية والاجتماعية : لقد أرهق المصريون ، ولم يحاول الملوك التخفيف عنهم إلا مكرهين عند ما أحسوا بخطر متابعة سياسة الشدة بعد أن استيقظ الشعور القومى على أثر انتصار المصريين فى معركة رفح عام ٢١٧ ق.م. ولقد كانت هذه السياسة التى اتبعها البطالمة عموما ، والأوائل منهم بوجه خاص، ونقصد بها سياسة الاعتماد على الإغريق والمقدونيين من دون المصريين ، وقصر الامتيازات على الفريق الأول ، سبباً فى سخط المصريين وكرههم الشديد للأجانب ، وفى اتهام البطالمة بالتحيز لبنى جنسهم وتعصبهم لهم على حساب المصريين ، والواقع أن هذا الاتهام ينطوى على شىء من الإسراف فى تفسير

(١) B.- Leclercq, Hist. Lag. II, pp. 1681 – 71.

(٢) B.G.U. 1847.

(٣) B.G.U. 1812.

الحقائق ، فنحن لا نميل إلى وصف سياسة البطالمة بالعنصرية العمياء ؛ وذلك لأنهم استغلوا الإغريق والمقدونيين كما استغلوا المصريين أيضاً وإن اختلفت الدرجة فى ذلك . ولعل أكبر خطأ ارتكبه البطالمة هو أنهم لم يحاولوا — كما حاول محمد على الكبير مثلا — إنشاء دولة قومية ، فكان ذلك أخطر مواطن الضعف فى سياستهم ، ويبدو أن السبب فى ذلك كان خوفهم من إحياء الأمة المصرية وإيقاظ الشعور الوطنى فى نفوس أهلها لاعتقادهم الخاطىء بأن اعتمادهم على الإغريق والمقدونيين وحدهم يكفل لهم توطيد دعائم ملكهم . وكانت نتيجة هذه السياسة الخاطئة أن حنق المصريون على الأجانب والملوك معاً ، وبرموا بالنظام الاقتصادى الجائر الذى فرض عليهم . فثاروا منذ عهد إيوارجتيس الأول ، ولم يستطع الملوك إخماد ثوراتهم هذه برغم وسائل العنف والملاينة التى لجأوا إليها .

ولكن ثورات المصريين جميعاً باءت بالفشل ، فما السر فى ذلك ؟ يبدو أن السبب الرئيسى فى ذلك الفشل كان عدم اتحاد المصريين فى ثوراتهم ضد ملوكهم البطالمة والعنصر الأجنبى فى البلاد : فقد رأينا كيف ظل فريق من المصريين موالياً للبطالمة ، وإذا كان هذا الولاء غير خالص فى ذاته كما بينا ، فإنه على كل حال أضعف من حركات المقاومة ومهد السبيل أمام البطالمة للقضاء عليها . لقد عرف البطالمة كيف يستغلون العداء والتنافس القديمين بين كهنة آمون وكهنة الآلهة الأخرى ، فاستمالوا إلى جانبهم فريقاً كبيراً من رجال الدين وأفسدوا بذلك ثورات المخلصين من بنى الوطن . هذا إلى أن فريقاً من الناس كان ينتهز فرصة الثورات فيرتكب أعمال السلب والنهب التى كانت تدفع أصحاب المصالح إلى مقاومة الثورات ومناشدة الحكومة حمايتهم من أيدى العابثين . ونجح البطالمة أيضا فى شراء ذوى النفوس الضعيفة والقلوب المريضة من المصريين ، وأغلبهم من طبقة المتأغرقين ، فأجزلوا لهم العطاء ، ورفعوهم إلى المناصب الكبيرة ، وكانت النتيجة أن انقلب هؤلاء حرباً على بنى وطنهم الثائرين . وما من شك أيضاً فى أن الثوار — برغم كثرة عددهم وإخلاص نفوسهم — كانت تنقصهم الأموال والعُدَد التى توفرت لقوات البطالمة .

وإذا كان المصريون قد فشلوا فى ثوراتهم ، إلا أن هذا الفشل لم يدخل على قلوبهم اليأس ، فظلوا يقاومون الحكم البطلمى حتى النهاية . وكانت هذه المقاومة ذات الطابع القومى الاقتصادى الاجتماعى ذات أثر كبير فى إضعاف البطالمة ، وإنهاك موارد البلاد حتى وقعت آخر الأمر فريسة سهلة هينة فى أيدى الرومان .

SOURCES

1. Greek Papyri.

Actenstücke.	U. Wilcken. London, Paris. 1886.
Amh. Pap.	Grenfell & Hunt, Vol. 2. London, 1901.
B. G. U.	U. Wilcken, Schubart, etc. Berlin 1895—1937.
Cairo- Zenon Pap.	Edgar, Zenon Papyri, 1—IV, Le Caire 1925—31.
Enteuxeis Pap.	Guéraud, Le Caire, 1931—1932.
London Pap.	Kenyon, & Bell, London, 1893—1917. (1—IV)
Louvre Pap.	Notices et Extraits des Manuscrits grecs de la Bibliothéque imperiale, XVIII, par Brunet de Presle, Paris, 1865.
Mich. Pap.	Winter, Ann Arbor, 1936.
OX. Pap.	Grenfell & Hunt. London 1898-1927.
Petrie Pap.	F. Petrie, Mahaffy & Smyly. Dublin 1891—1905.
P. S. I.	Vitelli, Norsa etc.., Firenze, 1912—1935.
Tebt. Pap.	Grenfell, Hunt, Smyly, Goodspeed, Lobel, Rostovtzeff & Edgar. (1902—1938) London.
U. P. Z.	U. Wilcken. Leipzig-Berlin. (1927 - 1937)

* * *

Melanges Maspero.	Memoires de L'Institut F.A.O.C. T.LXVII. Vol. II. Le Caire 1934—1937.
Wilcken und Mitteis	Grundzüge und Chrestomathie d. Pap. Berlin, Leipzig. 1912.

2. Demotic Papyri

Berlin Dem. Pap. = Spiegelberg, Demotische Papyrus aus d. Kgl. Museen Zu Berlin, Leipzig-Berlin, 1902.

Revillout, Mélanges etc. de L'ancienne Eg., Paris, 1895.

3. Inscriptions.

C. I. G. — ed. Boeckh, Berlin. 1869.

O. G. I. S. — by Dittenberger, Lipsiae. 1903–1905.

Mitford T. B., — Contribution to the Epigraphy of Cyprus (Arch. für Pap. XIII, 1938 pp. 13–38)

Strack M. L. — Die Dynastie der Ptolemäer, Leipzig 1897.

4. Ancient Historians.

Appianus. — Roman History.

Athenaeus. — The Deipnosophists.

Daniel. — The Book of Daniel.

Dio Cassius. — Roman History.

Diodorus. — Histories of Diodorus.

Justinos. — History of Justinos.

T. Livius. — History of Livius.

Pausanias. — Description of Greece.

Polybius. — Histories of Polybius.

Val. Maximus. — Wonderful Sayings and Deeds.

5. Modern Works.

Bell, H. I — Hellenic Culture in Egypt (J. E A. VIII, 1922 pp. 139 ff.)

Bevan E. — A History of Egypt Under the Ptolemaic Dynasty, London 1927.

B - Leclercq. — Histoire des Lagides, 4 Vols. Paris 1903 - 1907.

Brugsch H. — A History of Egypt under the Pharaohs, 2 Vols. London 1881.

Breasted J. H. — Records of Ancient Egypt, 5 Vols. London 1927.

Gauthier. — Livre des Rois.

Jouguet P. — H.N.E. Vol. III. Paris 1931.

Idem. — L'Imp. Mac. Paris 1926.

Idem. — La Politique Interiéure du 1er Lagide (B.I.F.A.O.C. XXX, Fasc. II. pp. 513 ff.)

Idem. — Melanges Navarres, 1935, pp. 265–273.

Idem. — Eulaos et Lenaos... (B.I.F.A.O.C. XIX, 1936–1937) pp.97 ff.

Idem. — Les.Debuts du régne de Ptolemée Philometor et la 6eme guerre Syriènne (Rev. Phil. Hist. Litt. XI, Paris 1937, pp. 193–238).

Idem. — Les Lagides et Les Indigènes Egyptiens (Rev. Bel. Phil, 1923, T.2.)

Lesquier J. — Les Institutions Militaires de L'Egypte sous Les Lagides, Paris 1911.

Lacau. — Un Graffito d'Abydos écrit en letters grecs, Etudes de Pap. II, 1934, pp. 229–246.

Lefebvre et Perdrizet. — Les Graffites grecs du Memnonion d'Abydos 1919, no. 32.

Mohaffy J. P. — The Empire of the Ptolemies, London 1895.

Mallet. — Les Rapports dse Grecs avec L'Egypte deLa conquête de Cambyse à celle d'Alex. III, Le Caire 1922.

Maspero G. — Histoire des Peuples de l'Orient. London 1909.

Milne. J.G. — Egyptian Nationalism under Greek & Roman Rule (J.E.A. XIV, 1928, pp.226 ff.)

Mitford T. B. — An Unpublished act of Amnesty form Ptolemaic Cyprus. (Actes du 5eme........)

Moret A. — Histoire de la Nation Egyptienne. Vol. II.

Otto W. — Zur Geschichte der Zeit des 6 Ptolemaërs, Munchen, 1934.

Peremans. — Egyptiens et Etrangers en Egypte au III eme Siécle, (Chr. d'Egypte XI, 1936, pp. 151 ff.)

Idem. — Ptolemée II et les Indigénes Egyptiens, (Rev. Bel. Phil. Hist. XII, 1933, pp. 1005 ff.)

Préaux C. — Politique de Race ou Politique Royale? (Chr. d'Egypte, XXI, 1936, pp.111–138)

Idem. — Esquisse d'une Histoire des Revolutions Egyptiennes sous les Lagides (Chr. d'Egypte, XXII, 1936, pp. 522–552.)

Idem. — La Signification de l'époque d'Evergèts II (Actes du V eme Congrès Inter. de Pap., Bruxelles, 1938, pp. 345–354.)

Idem. — L'Économie Royale des Lagides, Bruxelles, 1939.

Rostovtzeff M. — Ptolemaic Egypt, C. A. H. Vol. VII, pp. 109 ff.

Idem. — The Social and Economic History of the Hellenistic World. 3 Vols., Oxford, 1941.

Idem. — The Foundation of Social and Economic life in Hellenistic Egypt (J.E.A. VI, pp. 161–178.)

Strack M. — Die Dynastie der Ptolemaër, Leipzig, 1897.

Tarn W.W. — Hellenistic Civilization, II ed., London, 1930.

Idem. — Alexander and the Conquest of Persia, C.A.H. VI, Chap. 12..

Westermann W.L. — The Ptolemies and the Welfare of their Subjects. (Actes du V eme Congrès Inter. Pap. Bruxelles, 1938, pp.565–579.)

Wilcken U. — Alexander der Gross (trad. Franç.) Paris, 1933.

* * *

مراجع عربية

ابراهيم نصحى : تاريخ مصر فى عصر البطالمة ، جزءان ، القاهرة ١٩٤٦

محمد عواد حسين : شئون مصر الداخلية وسياستها الخارجية على عهد بطلميوس ايوارجتيس الثانى ، رسالة لم تنشر ، القاهرة ١٩٤٧ .
(مودعة بمكتبة جامعة فؤاد الأول)

شركة فن الطباعة
صندوق بوستة ٤ شبرا مصر تليفون ٥٨١٤٩

تصويب

الصفحة	السطر	الكلمة	الخطأ	الصواب
المقدمة	١١	٧	المتكبرين	المتكبرون
٢٨	٩	٩	كفء	كفءا
٤٩	١٣	٥	المقدونيين	المقدونيون